سلسة بحوث ودراسات

فى الفكر الاقتصادي الاسلامي

الأرزاق
بين بركة الطاعات... ومحق السيئات

إعداد

دكتورحسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

خبير إستشاري في المعاملات المالية الشرعية

عضو الهيئة الشرعية العالمية للزكاة

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد

الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

اســـم المؤلف: دكتور حسين حسين شحاتة

اسم الكتـــاب : الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات

رقم الطبعة : الثانية

تاريــــخ الاصــــدار : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.

الناشــــر : دار النشر للجامعات ، ت: 0100 / 1504255

الموقع الالكتروني : E. Mail : Darelmashora @gmail.com

Www. Darelmashora.com

تحذير

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقدم الشكر لمن أجرى الله النعمة على أيديهم لخدمة الإسلام والمسلمين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.. من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» (رواه أحمد).

واستشعارًا بهذا الحديث الكريم، يطيب لي أن أقدم الشكر إلى كل من ساهم وعاون في إعداد هذا الكتاب، وكذلك من قاموا بتشجيعي على المضي في هذا المجال، وأخص بالذكر أساتذة وعلماء فكر الاقتصاد الإسلامي، ورجال الدعوة الإسلامية الذين كان لهم فضل توجيهي إلى الطريق السوي المستقيم.

وانتهز هذه المناسبة الطيبة لأن أسجل استشعاري بالجميل نحو من علموني من فيض علمهم، وأخص بالذكر الإخـــوة الأستاذ الدكتور/ شوقي إسماعيل شحاتة، والأستاذ/ يوسف كمال، والأستاذ الدكتور/ عبدالحميد الغزالـــي يرحمهم الله ، والأخ الجليل الدكتور/ محمد عبدالحكيم زعير ، وإلى كل من قَدَّم لي معروفًا، وأسدى إليَّ جميلاً، وأسأل الله أن يكون جهود هؤلاء وخدماتهم فـــي ميزان حسناتهم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا.

ربنا تقبل منَّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

د. حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

آيات قرآنية وأحاديث نبوية عن الارزاق

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تبارك وتعالى: لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (الأعراف:٩٦).

ويقول سبحانه وتعالى:(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) (المائدة :٤٩)

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا» (الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وقال صلى الله عليه وسلم: «.. وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه» (النسائي وابن ماجه وأحمد).

إهــــداء

• إلى رجال الدعوة الإسلامية، الذين لبُّوا النداء، وأجابوا الدعاء، وحملوا اللواء، للدعوة الإسلامية الصحيحة، بالحكمة والموعظة الحسنة.

• إلى الذين يريدون تطهير قلوبهم ونفوسهم وأبدانهم وأرزاقهم في الدنيا، ليلقوا الله سبحانه وتعالى بقلوب طاهرة سليمة، ونفوس مطمئنة راضية.

• إلى أسرتي: زوجتي، وأولادي، وأزواج بناتي، وأحفادي، الحاضر منهم والغائب، داعيًا الله أن يطهرهم ويزكيهم ويثبتهم على طريق الإسلام الصحيح.

أهدي ثواب هذا الجهد داعيًا الله سبحانه وتعالى
أن يتقبل من الجميع صالح الأعمال.

الأرزاق
بين بركة الطاعات ومحق السيئات

الموضوعات

تقديم عام

يؤمن المسلم إيمانًا صادقًا عميقًا بأن الله سبحانه وتعالى قد ضمن له رزقه وقدَّره له منذ نشأته، وعليه أن يسعى ويضرب في الأرض ويأخذ بالأسباب للحصول على الرزق الحلال الطيب، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى:(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣) (الذاريات: ٢٣.٢٢).

ويقرن الله السعي بالتوكل، فلا يغني أحدهما عن الآخر، فيقول سبحانه وتعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (الملك:١٥). كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا» (رواه الترمذي). فالطير يأخذ بالأسباب بأن يطير من عشه ويتحرك في الصباح خاوي البطن، ويرجع في المساء وقد ملأ بطنه بالطعام، وتلك آية من آيات الله.

ومن موجبات تحقيق البركة في الرزق: الإيمان والتقوى والأخذ بالأسباب، والتوكل على الله، وإتقان العمل وتحسينه، ولقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك فقال: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } (الأعراف:٩٦) ، وقوله سبحانه وتعالى:) إِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (٣) (الطلاق:٣.٢).

وعندما يلتزم المسلم بهذه الموجبات، يبارك الله له في رزقه، ويتقبل منه عبادته، ويستجيب لدعائه، ويجعل حياته طيبة سهلة ميسرة، ويفوز برضاء الله في الآخرة.

وعندما يعصي العبد المسلم ربه، ويخالف أمره، ويرتكب الذنوب والخطايا والسيئات، فإن هذا يقسى قلبه ويمرضه وربما يهلكه، كما يمحق رزقه، ويقلل من

عمره وعلمه وعمله، ولقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك، منها قول الله سبحانه وتعالى: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (المطففين:١٤)، وقوله سبحانه وتعالى: { فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ } (غافر:٢١)، وقوله سبحانه وتعال: { فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ } (المائدة:٤٩).

ولقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكاب المعاصي والذنوب والسيئات فقال: «إياكم والمعصية، فإن العبد ليذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم، وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم قيام الليل، وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقًا كان قد هيئ له»، ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله سبحانه وتعالى:) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) ((القلم: ٢٠.١٩)، «قد حرموا خير جنتهم بذنبهم» (أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه).

ولقد قص الله علينا في القرآن الكريم قصصًا عن أثر المعاصي والذنوب والسيئات على أرزاق الأقوام والشعوب، كما يوجد في الواقع المعاصر نماذج حية واقعية تبرز العلاقة السببية بين الذنوب والسيئات ومحق البركة والحرمان من الرزق للعبرة ولنستخلص منها الدروس، لنتوب ونتصالح مع الله بالاستغفار.

ومن ناحية أخرى، نجد بعض العصاة والمذنبين، قد بسط الله سبحانه وتعالى لهم في الرزق وأعطاهم المال والأولاد والسلطان، فهذا ابتلاء واستدراج، مصداقًا لقول الله سبحانه وتعالى :) وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) (آل عمران:١٧٨).

وفي مثل هؤلاء يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله سبحانه وتعالى ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته» (متفق عليه). وهذا الابتلاء والاستدراج من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه، وهي مستمرة منذ خُلِقَ آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، فعندما عصى آدم ربه أخرجه الله من الجنة، وعندما قال قارون: إنما أوتيته على علم عندي، خسف الله به وبداره الأرض، وعندما قال فرعون: أنا ربكم الأعلى، أغرقه الله.

كما نشاهد في هذه الأيام نماذج من العصاة المذنبين من الأفراد والشعوب المستدرجين، ولقد أخذ الله بعضهم بذنوبهم عبرة لعل الآخرين يرجعون إلى الله ويتوبون حتى يبدل الله سيئاتهم حسنات.

ومن رحمة الله سحانه وتعالى أن جعل باب التوبة مفتوحًا أمام هؤلاء العصاة والمذنبين ليتوبوا ويستغفروا الله لعلاج قلوبهم المريضة، ولإصلاح نفوسهم الأمارة بالسوء، ولتطهير أرزاقهم الملوثة بالحرام والخبائث.

واستشعارًا لأهمية أن يعرف المسلم الطريق إلى تحقيق البركة في رزقه وعمره وعلمه وعمله، ويتجنب المعاصي والسيئات والرذائل التي تمحق هذا الرزق، وكيف يطهر رزقه مما علق به من الحرام والخبائث، عزمت على إعداد هذا الكتاب، واخترت له عنوانًا طويلاً نسبيًا ليحمل المضمون الذي أقصده وهو: (الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق الذنوب والسيئات).

ولقد اعتمدت في إعداد هذا الكتاب على القرآن والسنة وأقوال العلماء والفقهاء، وعلى واقع الأفراد والشعوب في الأسلاف الخالية، وفي الواقع المعاصر، كما تم تحقيقه من النواحي الشرعية.

وامتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى، واقتداء بهدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، يطيب لي أن أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجزي خيرًا كل من عاون في نسخ ومراجعة وتحقيق هذا الكتاب، وأخص بالذكر فضيلة الشيخ محمد الأنور من علماء الأزهر الشريف، والأستاذ/ إسلام عباس، والدكتور طارق محمود، وابني الدكتور

محمد حسين، ، وأقول لهم جميعًا ما علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم (جزاكم الله خيرًا).

كما كان لأسرتي (زوجتي وأولادي وأزواج بناتي الحاضر منهم في القاهرة، والغائب عنَّا في إنجلترا) الدور المعنوي القيم في حثّي وتقوية عزيمتي على المضي قدمًا في الانتهاء من إعداد هذا الكتاب، مضحين بكثير من حقوقهم نحوي. فأدعو الله أن يثيبهم ويبارك في أرزاقهم وأعمالهم وأعمارهم، ويجمعنا معهم في جناته.

وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يجعل هذا العمل صالحًا، ولوجهه خالصًا، ليس فيه أي شيء لهذه النفس، وأن يجعل منه النفع الكثير للمسلمين.

دكتور حسين حسين شحاتة

الفصل الاول
موجبات الطيبات من الأرزاق

- تمهيد.
- معنى الرزق في ضوء الكتاب والسنة.
- نظرة المسلم إلى الرزق في ضوء الكتاب والسنة.
- نظرة الماديين والدهريين إلى الرزق.
- اقتران الرزق بالخَلْق وبالأجل آية من الله.
- أنواع الأرزاق الظاهرة والباطنة.
- نماذج من الأرزاق الظاهرة (المادية).
- نماذج من الأرزاق الباطنة (الحسية المعنوية).
- الأخذ بالأسباب والتوكل على الله من موجبات جلب الأرزاق.
- الضوابط الشرعية لجلب الطيبات من الأرزاق.
- خاتمة.

الفصل الأول
موجبات الطيبات من الأرزاق

تمهيـــد:

سبحان الله الذي ضمن لعباده الطيبات من الرزق، وأمرهم بالسعي للحصول عليه، مؤمنين إيمانًا راسخًا بأنه سبحانه وتعالى قدَّره لهم منذ نشأتهم، والرزق في الإسلام نعمة من الله وفضل، يجب شكر الله الذي أجراه، حتى يزيد وينمو مصداقًا لقوله تبارك وتعالى: (إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (٧) (إبراهيم:٧).

والأرزاق أنواع: أرزاق ظاهرة مثل: الأقوات والملبس والمسكن والدابة..، وأرزاق باطنة مثل: التقوى والصلاح والأخلاق الفاضلة والسكينة والاطمئنان والعلم والصحة، ونحو ذلك مما أنعم الله على عباده.

وهناك موجبات للأرزاق يجب على البشر الأخذ بها طبقًا لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وطبقًا للنواميس التي خلقها الله سبحانه وتعالى، حتى تكون حياة المسلم كريمة طيبة، ويفوز برضاء الله في الآخرة، ومن هذه الموجبات التسبب والتوكل.

وسوف نتناول ما سبق بشيء من التأصيل والتفصيل، حيث نتناول معنى الرزق ومفهومه عند المسلم في ضوء الكتاب والسنة، وكذلك عند غير المسلمين، وبيان الإعجاز القرآني في اقتران الرزق بالخَلْق وبالأجل، وبيان أنواع الأرزاق، وموجبات جلبها وإنفاقها في ضوء مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية.

معنى الرزق في ضوء الكتاب والسنة

الرزق هو ما يقدره الله سبحانه وتعالى لخلقه من مقومات الحياة، من مأكل ومشرب وملبس ومأوى، ودابة وأنعام، ونحو ذلك من الحاجات الأصلية للمخلوقات،

كما يدخل في معنى الرزق النعم المعنوية المخصصة لبني البشر مثل: الأمن والاستقرار والحرية والعقل.. .

ومن أسماء الله الحسنى: «الرزَّاق»، ومن ومن صفاته «الرازق» لأنه يرزق الخلق أجمعين، فهو القائل في كتابه الكريم: وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦) (هود:٩)، وقال عز وجل: وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ (العنكبوت:٦٠)، ومن قوله جل شأنه: وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ (٥٨) (الذاريات:٥٦.٥٨).

ولقد ورد في تفسير هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى قدَّر وضمن الرزق لكل دابة، سواء كانت بشرًا أو حيوانًا أو غير ذلك حسب الاحتياجات، وأن الغاية الكبرى من عملية الخلق هي عبادته سبحانه وتعالى، ولا ينبغي أن يُشغَل بنو البشر بمسألة الرزق عن العبادة، فعليهم فقط الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله.

ويُطلق على الرزق أحيانًا النعمة، ففي سورة النحل عَدَّد الله سبحانه وتعالى بعض الأرزاق مثل الماء والزروع والثمار والسمك واللؤلؤ والأنعام والخيل والبغال والحمير والجبال والأنهار والبحار، ثم قال سبحانه وتعالى: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) (النحل:١٨).

نظرة المسلم إلى الرزق في ضوء الكتاب والسنة:

ينظر المسلم إلى الرزق على أنه وسيلة من وسائل عبادة الله سبحانه وتعالى، كما يجب عليه أن يوازن بين نوعي الرزق المادي والحسي: فالرزق المادي لبناء الجسد للتقوية على عبادة الله وعمارة الأرض، والرزق المعنوي لتغذية القلب لتحقيق الإشباع الروحي، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما، ولقد أكد على ذلك الله سبحانه وتعالى في قوله: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا (٧٧) (القصص:٧٧).

يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية الكريمة: (وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم، المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه بأن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على هذا ويكلفه إياها تكليفا كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها. لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض، ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها ولا ينشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم وتقبل لعطاياه، والانتفاع بها طاعة من الطاعات يجزي الله عليها بالحسنى.

كما يجب أن يؤمن المسلم بأنه سوف يُحاسب على ما رزقه الله سبحانه وتعالى من النعم، مصداقًا لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (٨) (التكاثر:٨).

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به» (رواه الترمذي).

ويُعتبر العمر والصحة والحيوية والمال والعلم رزق من عند الله، وطلب الرزق عبادة يُتَقَرَّب بها إلى الله سبحانه وتعالى، بشرط أن تكون النية خالصة لوجهه.

نظرة الماديين والدهريين إلى الرزق:

إنَّ من فِكْر أصحاب المذاهب المادية وفلسفتهم على اختلاف شيعهم ومللهم، أن الرزق من صنع الطبيعة، وأنه يجب على الإنسان تجميع أكبر قدر من الأرزاق المادية ليستمتع بها طوال حياته، وأن المادة هي أساس الحياة.

كما أنهم ينكرون الحياة الأخروية،ويقولون: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وقالوا: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع. ولقد سجل القرآن العظيم هذه المفاهيم الخاطئة وأنكرها. ففي سورة الجاثية يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (٢٤) (الجاثية:٢٤)، ويقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: «ونرى فريقًا من الناس ينكر أمر الآخرة، ويشك كل الشك في قضية البعث والحساب، ويتعنت في الإنكار وفي طلب البرهان بما لا سبيل إليه في هذه الأرض. الحياة في نظرهم، هي هذا الشوط الذي يرونه في الدنيا رأي العين، جيل يموت وجيل يحيا، وفي ظاهر الأمر لا تمتد إليهم يد الموت، إنما هي الأيام تمضي، والدهر ينطوي، فإذا هم أموات. فالدهر إذن هو الذي أنهى آجالهم، ويلحق بأجسادهم الموت فيموتون».

وينكر الدهريون ومن على شاكلهم الرزق المعنوي الحسي، ولا يشعرون بالإشباع الروحي، فهم يستنزفون كل سعادتهم في الدنيا، ولا يربطون ذلك بالآخرة، ويعبر القرآن الكريم عن هذا الفهم والاعتقاد الخاطئ بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (٢٠) (الأحقاف:٢٠).

ومعنى هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يقول للكافرين ومن على شاكلتهم لقد متعتم أنفسكم بالطيبات من المأكل والمشرب في حياتكم الدنيا، ولم تشكروا الله، بل كفرتم وتكبرتم عن اتباع الحق، وعصيتم الله سبحانه وتعالى، جزاؤكم في الآخرة الإهانة والخزي والآلام الموجعة، والحسرات المتتابعة، والمنازل في الدرجات المفظعة.

فالله سبحانه وتعالى يعطي هؤلاء الدهريين ما يريدون في هذه الحياة الدنيا، وليس لهم في الآخرة إلاَّ النار. أما المؤمنون فيعطيهم الله سبحانه وتعالى الجزاء

الأوفى في الآخرة، وفي هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (٢٠) (الشورى:٢٠).

اقتران الرزق بالخلق وبالأجل آية من الله سبحانه وتعالى:

أرزاق المخلوقات بصفة عامة، وبني آدم بصفة خاصة مكتوبة ومقدرة لهم، وهي واصلة إليهم، وعليهم أن يأخذوا بالأسباب والسعي إليها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾(٦٠) (العنكبوت:٦٠). فقد ورد عن ابن كثير في تفسير هذه الآية: «الرزق لا يختص ببقعة، بل هو رزق عام لخلقه حيث كانوا، وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والإمصار، فالله سبحانه وتعالى يبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء»

ويؤكد هذه الحقيقة القرآن الكريم، فيقسم الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (٢٣) (الذاريات:٢٢-٢٣)، فالرزق والأجل أشبه بطرفي المقص، كلاهما مشدود

إلى الآخر، وهما يمثلان الإنسان وحياته أبلغ تمثيل، فلا يضيع من رزقه شيء ولا ينقص من عمره ساعة.

وروي عن ابن مسعود رضى الله عنه حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنه يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك: فيؤمر بأربع كلمات، فيقول: اكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد.. إلى آخر الحديث» (رواه البخاري وابن ماجة).

وللحديث روايات كثيرة، ولقد أوضح الحديث اقتران الخلق بالعمل وبالأجل وبالرزق وبالسعادة وبالشقاء، وهذا كله بمشيئة الله وتقديره.

ويقول الرسول: «لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم» (البيهقي، وابن ماجة).

ولقد رُوي عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فدعا الناس بيده هكذا، فقال: اجلسوا وأقبل الناس، فقال بيده هكذا اجلسوا، ثم قال: «إني رأيتكم تطلبون معايشكم، هذا رسول رب العالمين جبريل نفث في روعي: ألا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله أيها الناس، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء على أن تأخذوا بمعصية، فإن الله لا يُدْرَك ما عنده إلا بطاعته» (أخرجه ابن ماجة والحاكم والبيهقي).

فالرزق آت لأنه مقدر من عند الله، والأفضل أن يأتي من الحلال الطيب بدلاً من أن يأتي من الحرام الخبيث، مادام في عمر الإنسان بقية، والله سبحانه وتعالى لم يترك الخلق والرزق والأجل بيد أحد من البشر، بل هو سبحانه وتعالى الخالق الرازق المحيي والمميت، حتى يحرر الإنسان من عبودية الإنسان.

أنواع الأرزاق الظاهرة والباطنة:

تنقسم الأرزاق إلى نوعين أساسيين: الظاهرة والباطنة، وكلاهما من الحاجات الأصلية للإنسان لبناء الجسد وغذاء للروح. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان:٢٠)، وسوف نعرض نماذج (أمثلة) من هذين النوعين تفصيلاً فيما يلي:

نماذج من الأرزاق الظاهرة (المادية):

ويُقصد بالأرزاق الظاهرة، الملموسة التي يستطيع الإنسان أن يستشعرها بجوارحه المختلفة، وهي من النعم التي لا تُحصى ولا تُعد، ولقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة النحل، من الآية الخامسة حتى الآية الثامنة عشر، فيقول تبارك وتعالى: وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨)

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ

فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراوَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (النحل:٥-١٨).

فمن الأرزاق الظاهرة (العينية) في هذه الآيات:

- الأنعام على اختلاف أنواعها: الإبل والبقر والغنم والبغال والحمير.
- الماء: للشرب والزراعة والصناعة وغير ذلك.

• الزروع والثمار: مما تنبته الأرض للمخلوقات جميعًا.

• الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم: لتقديم المنافع للمخلوقات جميعًا.

• المستخرج من الأرض من نباتات ومعادن وجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها.

• البحار بما فيها من خيرات ومثل الأسماك واللؤلؤ والمرجان ونحو ذلك مما يُستخرج من باطنها، كما سخرت لتسير عليها السفن ونحوها لتساعد على السعي لطلب الرزق.

• الجبال الثوابت الراسيات على الأرض لما لها من منافع عظيمة.

• الأنهار والطرق والمسالك لتساعد في طلب الرزق.

• العلامات: ليُستدل بها على الطرق والمسالك نهارًا.

• النجوم: ليُستدل بها على الطرق والمسالك ليلاً.

ولقد عقب الله عز وجل بعد أن ذكر نماذج من وسائل النقل، بقوله: ويخلق ما لا تعلمون ، ويعني ذلك أن هناك مخلوقات أخرى سوف تعرف على مدى الأزمنة، ولقد فُسرت الاختراعات الجديدة في وسائل النقل والاتصالات ونحو ذلك على أنها مما لا نعلم في وقت من الأوقات، كما ختم الله سبحانه وتعالى هذه النِعم المذكورة في الآيات قوله: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ، ولقد ورد في تفسير هذه الآيات معانٍ كثيرة.

يقول القرطبي: «أي أن نعم الله لا تحصوها ولا تُطيقوا عَدَّها، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها، كالسمع والبصر وتقويم الصور، إلى غير ذلك من العافية والرزق».

ويقول ابن كثير: ثم نبههم إلى كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم: ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم، ولكنه غفور رحيم، يغفر الكثير، ويجازي على اليسير»

نماذج من الأرزاق الباطنة (الحسية المعنوية):

ويُقصد بها ما سخره الله للمخلوقات بصفة عامة، وللإنسان بصفة خاصة، من نِعم غير ملموسة، معنوية، روحية، تتعلق بغذاء الروح، وتزكية القلوب، وعلاج النفوس، ومنها الهداية إلى الإسلام، وحب الإيمان، والتقوى، والصلاح، والاستقامة، والأمن والسكينة، والمعرفة والعلم، والحرية والعدل،.. وغير ذلك من النعم الخفية التي يعجز الإنسان عن حصرها وشكر الرازق عليها.

ولقد ورد بالقرآن الكريم العديد من الآيات التي تشير إلى مثل الأرزاق الباطنة، نذكر منها على سبيل التذكرة ما يلي:

• نعمة الإسلام، كما ورد في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾(المائدة:٣)، وقوله سبحانه وتعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم (٢٣١) (البقرة:٢٣١).

• نعمة الإيمان، كما ورد في قوله تبارك وتعالى: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ (٧) (الحجرات:٧).

• نعمة النصر من عند الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(٩) (الأحزاب:٩).

• نعمة تأليف القلوب، كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً (١٠٣) (آل عمران:١٠٣).

نعمة الأخوة في الله سبحانه، كما ورد في قوله تبارك وتعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ (الحجرات:١٠).

الأخذ بالأسباب والتوكل على الله من موجبات جلب الأرزاق:

الله سبحانه وتعالى خلق بني البشر، وقدر لهم الرزق، وطلب منهم السعي والضرب في الأرض للحصول عليه، ولقد قرن الله سبحانه وتعالى جلب الرزق بالعمل والحركة، مع الإيمان بأن هذا من عند الله، فموجبات الرزق سببان هما: العمل والإيمان بأن الله هو الرازق، ولقد وردت هذه الحقيقة في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث القدسية والنبوية، وعلى لسان العلماء والفقهاء.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الملك: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) (الملك:١٥). ولقد ورد في تفسير ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: «أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها للمكاسب والتجارات». ويقول الألوسي: «في الآية دليل على ندب التسبب والكسب وهو لا ينافي التوكل، فقد مر عمر رضى الله عنه بقوم فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون، فقال بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبة في بطن الأرض وتوكل على ربه سبحانه وتعالى».

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في عديد من الآيات بالتسبب حتى في مجال العبادات طلبًا للرزق، فعلى سبيل المثال بعد أن نفرغ من الصلاة يجب أن ننتشر في الأرض للعمل، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١٠) (الجمعة:١٠).

ويُبين صاحب الظلال، وهو يفسر هذه الآية التوازن بين غذاء الروح بالصلاة والذكر وبين مشاغل العيش والكسب، فيقول: «هذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي، التوازن بين مقتضيات الحياة على الأرض، من عمل وكد ونشاط وكسب، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو، وانقطاع القلب وتجرده للذكر، وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى، وذكر الله لابد منه في أثناء ابتغاء المعاش، والشعور بالله سبحانه وتعالى فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة. ولكنه مع هذا. لابد من فترة للذكر الخالص، والانقطاع الكامل، والتجرد المحض».

ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد طلب الرحمة، وعند الخروج منه طلب الفضل، فقد ورد عن أبي حميد عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ثم

ليقل: الله افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك» (رواه مسلم وأبو داود والنسائي).

ولقد تربى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه المنهج وهو التوازن بين غذاء القلب وغذاء البدن، فكان العراك بين مالك رضى اللع عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال: «اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني وأنت خير الرازقين» (رواه ابن أبي حاتم).

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: «لقد اقتضت سنة الله تعالى وحكمته في خلقه ألا ينال رزقه المضمون إلا بسعي وعمل ومشي في مناكب الأرض العريضة، وابتغاء فضل الله فيها، .. ويستطرد قائلاً: لقد رتب الله الأكل من رزقه على المشي على أرضه، فمن مشى وسعى كان أهلاً لأن يأكل من رزق ربه، ومن تقاعد وتبطل

وهناك بعض الأرزاق لا تأتي بالأسباب الظاهرة الملموسة مثل العمل، ولكن تأتي بقدر من الله ومشيئته، ومنها على سبيل المثال: الإرث والوصايا والهدايا والزكاة والصدقات، وكذلك تحقيق البركة والنفع هو من عند الله، وهذا كله من قدر الله سبحانه وتعالى ومن مشيئته فهو القائل في كتابه: وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (الإنسان:٣٠).

الضوابط الشرعية لجلب الطيبات من الأرزاق:

لقد تضمنت الشريعة الإسلامية المبادئ والأحكام التي يجب أن يلتزم بها المسلم والأسباب التي يأخذ بها لجلب الأرزاق، فإن أخذ بها كان الرزق حلالاً طيبًا مباركًا فيه، وإن سلك سبلاً مخالفة لها كان الرزق حرامًا خبيثًا ممحوقًا. وفي هذا المقام سوف نركز على الأرزاق التي مصدرها التسبب بالعمل والسعي والضرب في الأرض كما أمرنا الله سبحانه وتعالى.

من الضوابط الشرعية التي تحكم جلب الأرزاق ما يلي:

أولاً: أن يكون مجال العمل لجلب الرزق حلالاً:

الرزق الحلال يأتي من العمل المشروع، ويجب على المسلم أن يتجنب الوقوع في الشبهات مهما كانت المغريات المادية والمظهرية، والقاعدة الشرعية التي تحكم ذلك هي: الأصل في المعاملات الحِل إلا ما حُرِمَ بنص صريح من القرآن والسنة،

وتفصيل ذلك في كُتب الفقه، ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً ﴾(المائدة:٨٨).

وعن أبي عبدالله النعمان بن بشير رضى الله عنها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الحلال بَيِّن وإن الحرام بَيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإنَّ لكل ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (رواه البخاري ومسلم).

ونطاق الحلال واسع،و إن الأصل في الأشياء الإباحة والحل، ولكن أحيانًا نجد كثيرًا من الناس يتركون الحلال ويعملون في مجال الحرام، اتباعًا لأنفسهم الأمارة بالسوء بحجة المال والكسب الكبير أو المنصب الوجيه، ولا يقفون عند حدود الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء يُحرمون بركة الرزق.

ثانيًا: أن يكون مجال العمل لجلب الرزق طيبًا:

من مقاصد جلب الرزق أن يعين المسلم على عبادة الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، ولا تُقْبَل عبادة من رزق خبيث، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يسعوا إلى الرزق الطيب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٦٨)

(البقرة:١٦٨)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢) (الأعراف:٣١-٣٢)، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(١٧٢) (البقرة:١٧٢).

قال ابن كثير: إن الله يأمر عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم، وأن يشكروه تعالى على ذلك إن كانوا عباده، والأكل الحلال الطيب سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما جاء في الحديث الشريف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: "يا أيها الرسل كلو من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير .. "» (رواه أحمد ومسلم والترمذي).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) (المؤمنون:٥١)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) (البقرة:١٧٢)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنى يُستجَابُ له» (رواه مسلم).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(٢٦٧) (البقرة:٢٦٧). «يأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالإنفاق من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها من التجارة

ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه، الذي لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه، فالله سبحانه وتعالى أغنى منكم، فلا تجعلوا لله ما تكرهون»( )

ومعيار التفرقة بين الطيب والخبيث في الإسلام واضحة، فإنتاج أي شيء أو تقديم أي خدمة يحققان مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال فهو طيب، وما يضر بهذه الأشياء فهو خبيث محرم. وعلى هذه القاعدة العامة حرمت الشريعة الإسلامية إنتاج المواد الضارة المحرمة، أو العمل في إنتاجها مثل الخمور و مشتقاتها، والأصنام والتماثيل، والمواد الإعلامية التي تُفسد الدين والعقل، كما حرمت الميسر الذي يضيع المال، وحرمت كل وسائل الإغراء والإثارة لأنها تقود إلى الزنا والاعتداء على الأعراض، وحرمت الإسراف والتبذير والغش والتدليس والجهالة والربا لأنها تهدر الأموال.. وهكذا.

ثالثًا: الالتزام بالأولويات الإسلامية لجلب الرزق:

لقد اهتم فقهاء الإسلام بفقه الأولويات في كافة الأمور، في العبادات والمعاملات، وينطبق هذا الفقه على جلب الأرزاق، إذ يجب على المسلم الذي يسعى

ويضرب في الأرض للكسب الحلال الطيب أن يتجه أولاً إلى الضروريات، ثم الحاجيات، ثم التحسينات، سواء بالنسبة لذاته أو للمجتمع أو للأمة الإسلامية.

ويرى كل من الغزالي والشاطبي أنه يتعين توجيه الموارد والطاقات والإمكانات وكل ما سخره الله سبحانه وتعالى من النعم وفق الترتيب الآتي:

• الضروريات: وهي الأشياء والمصالح التي لا تستقيم حياة الناس إلا بها، وإلا اختل نظام حياتهم.

• الحاجيات: وهي الأشياء والمصالح التي يحتاجها الناس للتوسعة والتيسير ورفع المشقة.

• التحسينات: وهي الأشياء والمصالح والأمور التي تسهل الحياة وتحسنها، بعد الضروريات والحاجيات، ولا تتضمن الإسراف والتبذير والترف والمظهرية.

وهناك علاقة قوية بين تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية السابق بيانها، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وبين فقه الأولويات الإسلامية، ولقد اجتهد أحد فقهاء الاقتصاد الإسلامي في بيان تلك العلاقة، ويرى أن حفظ الدين يجب أن يحظى بالقدر الأكبر من السعي والرزق، ويليه حفظ المال.

رابعًا: التوازن في جلب الرزق بين مطالب الدنيا والآخرة:

من سنن الله العظيمة، التوازن بين متطلبات الحياة الدنيا والآخرة عند جلب الرزق، ولقد عبر القرآن عن ذلك في سورة القصص في قول الله سبحانه وتعالى عن نصيحة قدمها قوم قارون له: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾(٧٧) (القصص:٧٧).

يقول ابن كثير: «أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل بها الثواب في الدنيا والآخرة،ولا تنس نصيبك من الدنيا ، أي مما أباح الله فيها من المآكل و المشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزوجك عليك حقًا، فآت كل ذي حق حقه».

ويستنبط من هذا التفسير أنه يجب على المسلم عند تخطيط وتنظيم وقته للسعي لجلب الرزق أن يحقق التوازن بين متطلبات الحاجات الأصلية للحياة، وبين العبادات والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. كما يؤمن بأن كليهما عبادة وطاعة إذا كانت الغاية هي وجه الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أشار إليه سبحانه وتعالى في نهاية سورة الأنعام حيث أمر الله عز وجل أن تكون عبادة المسلم وحياته وموته له

وحده، يقول سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم ولمن جاء بعده من المؤمنين الموحدين: قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ (١٦٣) (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في يوم الجمعة (على سبيل المثال) أن نترك أمور الدنيا والتجارة ونسرع للصلاة إذا نُدوي لها، فإذا فرغنا منها رجعنا إلى شئون التجارة. يقول الله سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللّّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) (الجمعة:٩-١١).

يقول القرضاوي: «فهذا هو شأن المسلم، يعمل لدنياه ويسعى لكسب عيشه، يبيع ويشتري، ويتناول الأعيان والمنافع، لا حرج عليه في ذلك، ولو كان في يوم الجمعة، إذ لم يُحَرِّم الإسلام العمل في يوم الجمعة، كما حرمته اليهودية يوم السبت. ويضيف قائلاً: إن عيب كثير من أهل التجارة، أنهم يغرقون إلى أذقانهم في دوامة الماديات والأرقام والمكاسب، ويكاد لا يُذكر مقام الله وجلال وجهه وعظيم سلطانه، أو يستحضر الآخرة وما فيها من سؤال وحساب، وثواب وعقاب، وجنة ونار».

وقال مُعَاذ بن جبل رضى الله عنه في وصيته: «إنه لابد من نصيبك في الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فابدأ بنصيبك من الآخرة، فخذه فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه».

خامسًا: حسن الانتفاع بالوقت لجلب الرزق:

الوقت في نظر المسلم هو الحياة أو العمر، وسوف يُحاسب عليه يوم القيامة لأنه من نعم الله سبحانه وتعالى، فإن أمضاه في خير وصلاح وتقوى، وفي جلب الرزق الطيب الحلال فقد غنمه، وإن أمضاه في غير ذلك فقد غرمه (خسره).

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلمأن الوقت رزق ونعمة من الله فقال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ» (رواه البخاري).

والوقت أهم مقومات جلب الأرزاق لأنه قوام العمل، والوقت المهدر في غير منفعة معتبرة شرعًا معناه ضياع رزق كان قد هيئ للمسلم، سواء كان رزقًا ماديًا أو رزقًا معنويًا حسيًا. وحتى يتحقق هذا الانتفاع؛ فعلى المسلم أن يخطط وينظم وقته ويبرمجه حسب الأولويات الإسلامية، ورحم الله سبحانه وتعالى الإمام حسن البنا عندما قال: «الواجبات أكثر من الأوات».

ولقد ورد في القرآن الكريم آيات مباركات تحث المسلم أن ينتهز ما بقي من عمره في عمل الخيرات، فقال الله سبحانه وتعالى: وَلِكُلٍّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ (البقرة:١٤٨)، وقال الله تعالى: فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) (المائدة:٤٨).

والوقت رزق ونعمة يُسأل المرء عنه يوم القيامة، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم «يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وَصِلوا بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، ترزقوا وتُنصروا وتُجْبَروا» (رواه ابن ماجة عن جابر رضى الله عنه).

ففي هذا الحديث الشريف إشارة إلى التوبة قبل الموت، واغتنام الوقت في الأعمال الصالحة قبل أن نُشغل، وكثرة الذكر والدعاء والاستغفار والصدقات،.. فهذا من موجبات الأرزاق والنصر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هِرمك، وغِناك قبل فقرك» (أخرجه الإمام أحمد). فامتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم يجب على المسلم أن يغتنم ما تبقى من عمره في مجال الصالحات.

ومن المنظور الاقتصادي الإسلامي، يُعتبر إضاعة الوقت في غير مجلبة للرزق تبديدًا للموارد والطاقات البشرية، كالإسراف في المال سواء بسواء، فقد روى أحمد والنسائي وابن ماجة عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة». وكما حرم الله الإسراف في المال، فقد حرم الإسراف في الوقت.

سادسًا: الرشد في استخدام الموارد الطبيعية:

لقد أنعم الله على البشرية بنعم لا تُحْصَى ولا تُعد، ومنها الموارد الطبيعية، وهو سبحانه وتعالى المالك لها، وله حق التصرف فيها بما يشاء. يقول الحق تبارك وتعالى: لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) (طه:٦)، وقد سخرها لنا وأمرنا بالانتفاع بها في جلب الرزق، بأن نهيئ هذه النعم لما فيه المنافع، ويدل على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «من أحيا أرضًا ميتة فهي له» (البخاري).

ولقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى أهمية الرشد ي استخدام تلك الموارد، ففي سورة سبأ، أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا داود عليه السلام بأن يقتصد في استخدام الحديد في صنع الدروع، فقال سبحانه وتعالى: أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (سبأ:١١). ولقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة أن الله علم سيدنا داود صنعة الدروع وأرشده أن لا يدق المسمار فيفلق الحلقة، ولا يغلظه فيقصمها ويجعله بقدر.

وينعى القرآن حال الأمة الظالمة والتي أهلكها الله بذنوبها وأصبحت مواردها الطبيعية معطلة، يقول الحق تبارك وتعالى: فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (الحج:٤٥).

ولقد نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعطيل تلك الموارد أو تبديدها أو الإسراف في استخدامها، ومما ورد في هذا الخصوص قوله صلى الله عليه وسلم: «من قتل عصفورًا عبثًا عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني لمنفعة» (النسائي وابن حبان وأحمد).

فإذا كان الإسلام ينهانا عن العبث بطير بسيط، فما بالنا بالموارد الطبيعية ذات الأهمية العظيمة للمخلوقات جميعًا. ويقول الدكتور القرضاوي في تعليقه على

هذا الحديث: «.. يرشد إلى المحافظة على موارد الثروة، وعدم تبديدها باللهو والعبث، أي لغير منفعة اقتصادية».

سابعًا: المعاصرة في أساليب جلب الأرزاق:

يُقصد بالمعاصرة في جلب الأرزاق: الانتفاع بما تفتقت عنه العلوم الحديثة من وسائل وأساليب وأدوات في مجال العمل لتنميته وتجويده وتحسينه، لما في ذلك من خير ومنافع للناس جميعًا، والاختراعات والابتكارات الحديثة تدخل في نطاق قول الله تبارك وتعالى: وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ (النحل:٨-٩).

ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المجال قوله صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها» (رواه الطبراني)، ويُقصد بالحكمة في هذا الحديث كل علم نافع مثل: الابتكارات والاختراعات والوسائل الحديثة المعاصرة.

ومن مقومات الجودة العالية استخدام أساليب التقنية الحديثة، وإتقان العمل والصنعة، وهذا من خُلق المسلم، ولقد أطلق القرآن على ذلك إحسان العمل، فقال الله تبارك

وتعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (الكهف:٣٠). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب من أحدكم إذا عَمِلَ عملاً أن يتقنه» (البيهقي). ولقد ورد في الأثر: «أطلبوا العلم ولو في الصين»، ولم يكن في الصين في صدر الدولة الإسلامية علوم شرعية، ولكن المقصود الانتفاع بما لدى الصين من علوم تنفع في الأمور الدنيوية.

ومن العبث أو عدم الرشد أن يتمسك المسلم بالأساليب التقليدية التي تقلل من الإنتاج، وتخفض من الجودة، في حين أن غير المسلمين قد ابتكروا وأبدعوا وجودوا وأحسنوا وأصبحت لديهم الريادة والقيادة والسيطرة باستخدام أساليب التقنية الحديثة. وأسفر ذلك عن أن الدول الإسلامية أصبحت متخلفة وفقيرة وعالة وذليلة، ومن بين أسباب ذلك التخلف تأخرها الواضح في مجال الاختراعات والابتكارات، وعدم الاستفادة المعاصرة في جلب الأرزاق.

ومما يجب التأكيد عليه في هذا المقام هو أن سبب تأخر الدول الإسلامية هو عدم التزامها بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، التي تحث على الدراسة والبحث والابتكار وتجويد العمل، وتنهى عن الكسل والخمول والتأخر وأن تكون عالة على الناس.

الخـــــاتمة :

من عقيدة المسلم أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، وهو الرازق، ولقد خلق سبحانه وتعالى السماوات والأرض، وقدر للمخلوقات جميعًا أرزاقها، وأمر بالسعي في جلب الرزق متوكلين عليه عز وجل، وأن هناك حياة وموتًا وبعثًا وحشرًا، حيث يسأل المسلم عن رزقه من أين اكتسبه وفيم أنفقه.وهذه النظرة العقدية إلى الرزق تختلف عن نظرة الدهريين والماديين والعلمانيين، حيث يعتقدون أن الطبيعة والمادة هي كل شيء، ويقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر.

ومفهوم الرزق في الإسلام يختلف عما تعارف عليه الناس، فلا ينخصر في الماديات الظاهرة، ولكن يشمل كذلك على المعنويات الباطنة، ويدخل في نطاق الرزق الهداية إلى الإسلام، وحب الله، وحب رسوله، والالتزام بالشريعة والأمن، والحرية، والاستقامة، والصحة، والزوجة الصالحة المطيعة، والأبناء الصالحين. ولقد عَبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالحديث الشريف: «من أصبح آمنًا في سربه، معافًا في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا وما بحذافيرها» (الترمذي في جامع الصحيح).

ومن مقومات جلب الرزق في الإسلام: العمل (التسبب) والتوكل، يقول الله عز وجل: فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (الملك:١٥). ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية الأحكام والمبادئ التي يُلتَزم بها عند التسبب لطلب الرزق، والتي لو تم الالتزام بها لتحققت مقاصد المسلم السامية، وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ ا لعقل، وحفظ العرض، وحفظ المال.

ونختم ذلك بقول الله عز وجل : وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ،وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (الطلاق:٢_٣).

الفصل الثاني
أثر الطاعات في بركة الأرزاق

- تمهيد.
- معنى الطاعات في ضوء القرآن الكريم.
- معنى البركة في الأرزاق في ضوء القرآن والسنة.
- أثر الإيمان والتقوى في بركة الأرزاق.
- أثر التوكل على الله في بركة الأرزاق.
- أثر الالتزام بالأخلاق الحسنة في بركة الأرزاق.
- أثر الالتزام بالضوابط الشرعية في بركة الأرزاق.
- أثر إتقان العمل وتحسينه في بركة الأرزاق.
- أثر الاستغفار في بركة الأرزاق.

الفصل الثاني
أثر الطاعات في بركة الأرزاق

تمهــــــــيد:

سبحان الله الذي وعد الذين يطيعونه بالفوز في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فهو القائل: وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (الأحزاب:٧١). وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم والمؤمنين مطيعين لأوامر الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولقد ورد عنهم قول الله عز وجل: وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ (البقرة:٢٨٥)، وكان من أثر ذلك أن أحياهم الله سبحانه وتعالى حياة طيبة رغدة في الدنيا، وفازوا برضاء الله في الآخرة، فقال جل شأنه: مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (النحل:٩٧). والطاعة تكون لله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولا ينبغي لأحد أن يتحرج من طاعة الله عز وجل خشية الناس، فالله عز ةجل أحق أن نخشاه مصداقًا لقوله عز وجل: فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (التوبة:١٣)، وقوله عز وجل: وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ (النور:٥٢).

وطاعة الله سبحانه وتعالى تتمثل في الاستجابة لأوامره، والابتعاد عن معاصيه، وأن يكون ذلك شاملاً لكل جوانب الحياة، وليس في الشعائر فقط كما يظن بعض الناس. ومن ثمرات الطاعات تحقيق البركات في الأرزاق، وتعني زيادة المنافع المشروعة التي تعين المسلم على أن يحيا حياة رغدة طيبة، عابدًا وشاكرًا لله على رزقه ونعمه، ولا تقتصر البركة على الرزق العيني المادي، ولكن تشمل الرزق المعنوي الحسي الذي يحقق الإشباع الروحي للمسلم.

وفي هذا الفصل من الكتاب سوف نبين أثر طاعة الله في تحقيق البركات في الأرزاق في ضوء ما ورد بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكذلك في ضوء أقوال العلماء والفقهاء من السلف والخلف رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن الطاعات التي سوف نركز عليها: الإيمان بالله عز وجل، وخشيته، والتوكل عليه، والالتزام بالأخلاق الحميدة مثل: الصدق، والأمانة، والوفاء، وصلة الأرحام، والالتزام بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، والعمل المتقن المجود، وأخيرًا نتناول الاستغفار في تحقيق البركات في الأرزاق.

معنى الطاعات في ضوء القرآن والسنة:

الطاعات معناها: الامتثال لأوامر الله تعالى ورسوله ، أي فعل المأمور به سواء كان فريضة، أو واجبًا، أو نافلة، وكذلك الامتناع عن فعل المنهي عنه.

وتدور الطاعة مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد أمر الله عباده بذلك في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، مثل قوله تعالى: وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ (آل عمران:١٠٤)، وقوله عز وجل: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (آل عمران: ١١٠).

ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «يا أيها الناس مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأمر بالمعروف لا يقرب أجلاً، وإن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم وعمهم البلاء» (الطرباني). وعن حذيفة بن اليمان قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وثواب طاعة الله ورسوله، الحسنات، فالحسنة تأتي من الطاعة، والسيئة تأتي من المعصية، ولقد ورد في القرآن الكريم آيات مباركات حول هذا المعنى، منها قوله عز وجل: فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً (الفتح:١٦)، وقوله سبحانه وتعالى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ (النور:٥٢).

ومن أركان الطاعة الفهم الصحيح للإسلام بصفة عامة، والعلم التام بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، ومعرفة الحلال والحرام، فقد يعمل المسلم عملاً فيه معصية لله وهو لا يدري، أو لا يقوم بعمل وفيه طاعة لله وهو لا يدري، ولقد ذكر الله ذلك في كتابه الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تبارك وتعالى: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (الكهف:١٠٣-١٠٤)، كما أن من مداخل الشيطان تزيين العمل السيئ، يقول الله تبارك وتعالى: أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ (محمد :١٤)،وقوله سبحانه وتعالى :(أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (فاطر:٨).

معنى البركة في الأرزاق في ضوء القرآن والسنة:

تعني البركة بصفة عامة النماء والزيادة، وقيل كذلك إن البركة تعني الكثرة في كل خير، يُقال بارك الله الشيء وبارك فيه وعليه، يعني وضع الله فيه النفع والخير الكثير.

وفي مجال العبادات يُقصد بالبركة السعادة، ففي التشهد يُقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، أي أسعدك الله وشرفك ومجدك.

ويُقصد بالبركة في الأرزاق الزيادة والكثرة في المنفعة المعتبرة شرعًا، والرزق المبارك هو الذي وضع الله فيه الخير الكثير، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في كثير من الآيات، يقول الله سبحانه وتعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ

إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير (الإسراء:١)، فلقد فسر الفقهاء كلمة باركنا حوله في هذه الآية بأن الأرض التي حول المسجد طيبة خصبة بكثرة زروعها وثمارها وخيراتها.

كما ورد قول الله سبحانه وتعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ (الأعراف:٩٦)، ومعنى البركات في هذه الآية: الخيرات الكثيرة، الماء والزروع والثمار وما في باطن الأرض من معادن وثروات.

وفي سورة فصلت يوضح الله عز وجل أنه خلق الأرض في يومين، وبارك فيها، وقدر فيها أقوات المخلوقات، فقال تعالى: قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (فصلت:٩-١٠)، ومعنى بارك فيها أي جعل فيها الخير الكثير والمنافع للناس.

وفي السنن ما يدل على أن البركة بمعنى الخير الكثير والنفع والسعادة، فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «وُلِدَ لي غُلام فأتيت النبي ، فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي» (البخاري ومسلم). ومن الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم لوالدي المولود: «بورك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقتم بره»، وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة دعا ربه فقال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة» (البخاري ومسلم).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بأول الثمر قال: «اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمرنا وفي مُدِّنا وفي صاعنا، بركة مع البركة، اللهم إن إبراهيم عبدك ونبيك وخليلك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه، ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان» (مسلم). ومن المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم من

أدعية الزواج: يُقال لمن تزوج: «بارك الله لك وبارك عليك، وجمع بينكما في خير» (البخاري ومسلم).

ومن دعاء وتحية المسلمين لبعضهم البعض السلام والرحمة والبركة، وهذا وارد في صيغة السلام: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)،وأيضًا في مجال المعاملات، حيث يدعو البائع للمشتري عندما تُعقد الصفقة، «بارك الله لك في بيعك»، وتعني أن يزيد ربنا لك في قيمة المبيع.

روى البخاري أن المهاجرين لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع: فقال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك! فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن: (بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم).

أثر الإيمان والتقوى في بركة الأرزاق:

من الأوامر التي يجب أن تُطاع، الإيمان بالله عز وجل وتقواه، ولقد تكرر ذلك في العديد من الآيات، مثل قوله سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ (محمد :٣٣)،وقوله عز وجل:(أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ) (نوح:٣).

وليس الإيمان بالله شعارًا وقولاً باللسان، ولكن عمل باستشعار ومراقبة الله عز وجل. ولقد فسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل» (متفق عليه). فلابد من أن تحرك قوى الإيمان الكامنة في القلب الجوارح بالعمل الصالح، وهذا دليل الإيمان السليم مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يُقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان» (رواه الطبراني).

ولقد ربط الله عز وجل بين الإيمان والتقوى والبركة في الأرزاق في قوله تبارك وتعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ

وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (الأعراف:٩٦). ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: (ولو أن أهل القرى آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات؛ لفتح الله عليهم قطر السماء، ونبات الأرض)

ولقد ورد في فتح الرحمن في تفسير القرآن: من يتق من أهل القرى ويصبر فإن الله لا يضيع أجره، لا في أولاه، ولا في عقباه، فالمؤمنون المتقون تفتح عليهم خيرات السماء وثمرات الأرض نامية مزيدة متعاظمة.

ولقد علق صاحب الظلال على هذه الآية تعليقًا يتفق مع سياق المقام الذي نحن بصدده، يقول الإمام سيد قطب: (.. فالبركة قد تكون مع القليل إذا أُحسن الانتفاع به، وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح، وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة مهددة في أمنها، مقطعة الأواصر بينها، يسود الناس فيها القلق، وينتظرها الانحلال، فهي قوة بلا أمن، وهو متاع بلا رضى، وهي وفرة بلا صلاح، وهو حاضر زاه ينتظره مستقبل نكد، وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال، إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة، بركات تنمي الحياة وترفعها في آن، وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال).

وقال الله تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (المائدة:٦٥-٦٦). تؤكد هذه الآيات أن الإيمان والتقوى وتطبيق شرع الله من موجبات الأرزاق في كل الأديان الإلهية.

ومن المنظور الاقتصادي الإسلامي، فإن المسلم التقى الذي يؤمن بأن العمل عبادة وطاعة وعزة، ويأخذ بالأسباب،ويتقن الصنعة، ويجود المنتج، فهذا يحقق البركة والنماء في المال، والزيادة في الربح، ويعني أن الله عز وجل يزيد له من الانتفاع

فيما أعطاه، وهذه هي البركة التي وعدها الله لعباده المؤمنين المتقين، حيث تكون البرك في الحياة الدنيا، والأجر في الآخرة، مصداقًا لقول الله تبارك وتعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (النحل:٩٧).

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في هذا الخصوص ما يلي: (إن الإيمان والتقوى والصلاح والاستقامة تُوجب علينا أن نوازن بين ديننا ودنيانا، وأن نتعبد لله بمراعاة سننه الكونية، وأن نُعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة، وأن نغرس ونزرع ونصنع ونقوم بكل علم أو صناعة تحتاج إليها الأمة في دينها ودنياها، وهذا ما اعتبره فقهاء المسلمين فرض كفاية، تأثم الأمة كلها بالتفريط فيه. إن التقوى المنشودة ليست مسبحة درويش، ولا عمامة متمشيخ، ولا زاوية متعبد، إنها علم وعمل، ودين ودنيا، وروح ومادة، وتخطيط وتنظيم، وتنمية وإنتاج، وإتقان وإحسان).

ويُعتبر الإيمان والتقوى من بواعث الذاتية للسعي والضرب في الأرض لجلب الرزق، كما أنها من موجبات العمل المخلص الصادق الأمين، ومن دوافع إتقان العمل وتحسينه، ليزداد الطلب عليه، سواء كان منتجًا أو خدمة، فينمو المال ويتحقق النماء، ويزداد الكسب، وهذا كله يُظهر عظمة الإسلام الذي يمزج بين الجوانب الإيمانية والجوانب المادية، في إطار متوازن، بحيث يحقق مطلوبات الروح والجسد معًا، فيحيا الإنسان حياة طيبة كريمة.

أثر التوكل على الله في بركة الأرزاق:

من عقيدة المسلم حُسن التوكل على الله في جميع أعماله، وهذا من دليل الإيمان الصادق، ولقد أمرنا المولى عن وجل بذلك في العديد من الآيات القرآنية في قوله: وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (المائدة:٢٣) ،وقوله سبحانه وتعالى:(اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (التغابن:١٣).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» (متفق عليه).

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية: (التوكل نصف الدين، والإنابة النصف الثاني، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل استعانة، والإنابة هي العبادة). ويقول: (ولا يقدح التوكل الأخذ بالأسباب، بل يجب الأخذ بكافة الأسباب المطلوبة لأي عمل، فلا كسب بلا جهد، ولا ثمرة بدون الأخذ بأسبابها الفطرية، ونتائج المسببات يفوضها العبد إلى الله الخالق الرازق، ومن ناحية أخرى، لا ينبغي للمسلم أن يعتقد أن الأخذ بالأسباب وحدها واعتبارها كل شيء مجردة من مشيئة الله وقدرته، ففي ذلك كفر وشرك.

وفي مجال ربط التسبب والتوكل بالأرزاق، نجد القرآن الكريم يتضمن نماذج حيَّة عظيمة توضح وتنظم المفهوم السليم للتواكل، وأثره على الرزق، يقول الله تبارك وتعالى: وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (الطلاق:٢-٣).

وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أبي ذر وقال له: «لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم»، يعني لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم. وقال أبو فرج بن رجب الحنبلي: (إن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، من طعن في الحرية يعني في السعي والكسب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته).

وفي هذا المقام يؤكد الدكتور يوسف القرضاوي: (على أن المؤمنين المتقين هم الذين يأخذون بالأسباب، ويجتهدون أن يكونوا دائمًا، أحسن عملاً، مسلحين بالتوكل على الله، معتصمين بمكارم الأخلاق، ولهذا يبارك الله جهودهم في الدنيا، ولا يضيع أجرهم في الآخرة). وهذا المعنى سبق أن أوضحناه من قبل، حيث يصعب الفصل في حياة المؤمن بين ا لقيم والأخلاق والمعاملات ونحو ذلك فكله يمثل منظومة واحدة، ونظامًا متكاملاً مثل الجسد الواحد، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (الملك:١٥).

يقول ابن كثير رضى الله عنه: (إن الله ذكر نعمه على خلقه في تسخير الأرض لهم، وتذليله إياها بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، وقال لخلقه: سافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا إلا أن ييسره الله لكم، فالسعي في السبب لا ينافي التوكل، فالله عز وجل المسخر الميسر المسبب).

ويضيف صاحب الظلال إلى ما سبق: (أن الرزق الذي في الأرض كله من خلق الله، وكله من ملكه، وهو أوسع مدلولاً مما يتبادر إلى أذهان الناس من كلمة الرزق، فليس هو المال الذي يجده أحدهم في يده، ليحصل على حاجاته ومتاعه، إنما هو كل ما أودعه الله هذه الأرض من أسباب الرزق ومكوناته).

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يزرق الطير، تغدو خِماصًا، وتروح بِطانا» (رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح)،

ونستنبط من هذا الحديث مجموعة من المفاهيم يجب الوقوف عندها منها ما يلي:

• صدق وحسن التوكل على الله، وهذا المشار إليه في الحديث «حق توكله».

• نموذج توكل الطير: يتضمن هذا النموذج السعي والأخذ بالأسباب، وهذا واضح جلي في قوله «تغدو»، «وتروح»، فالطائر لم يسكن في عشه ويأتيه الرزق، بل غدى وراح.

• نستفيد من ذلك الحديث أن المسلم لا ينبغي له أن يترك العمل، ويتواكل ويتكاسل، ويرضى بالذل والهون والدنية، رافعًا شعار التوكل على الله، ويكون عاله على غيره، فالسعي في طلب الرزق عبادة.

ولا يجوز إهمال الأخذ بالأسباب التي خلقها الله لعباده ويسرها لهم، فقد جاء رجل على ناقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له: «اعقلها وتوكل» (رواه الترمذي وابن حبان بسند جيد). ومعنى اعقلها: قيدها، فقد رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ التراخي والتهاون والتكاسل بأن يترك الرجل الناقة في الفلاة بدون ضابط معتقدًا بأن الله سوف يحفظها بدون الأخذ بأسباب الحفظ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعقلها» ثم توكل على الله.

ويحث رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس على الأخذ بالأسباب في طلب الرزق، فيقول صلى الله عليه وسلم: «ما أكل أحد طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» (البخاري).

فلا يستقدم التوكل مع نفي الأسباب، بل يجب على المتوكل أن يسير مع الأسباب معنى ومبنى، وفي هذا المقام يقول ابن قيم الجوزية: (لا تقوم عبودية الأسباب إلاّ على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية).

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقي ناسًا من أهل اليمن، فقال من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يلقى حبه في الأرض ويتوكل على الله.

أثر الالتزام بالأخلاق الحسنة في بركة الأرزاق:

لقد أثنى الله عز وجل على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فقال له: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلم:٤)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (أبو داود). وربط الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان بالأخلاق فقال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

ولقد أمرنا الله عز وجل بحسن الخلق فقال: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (فصلت:٣٤)، والالتزام بالأخلاق الحميدة من منظور الإسلام عبادة وطاعة وامتثالاً لأوامر الله عز وجل. ولقد تمكن التجار المسلمون من نشر الإسلام في كثير من دول العالم من خلال حسن خلقهم أثناء التعامل مع غير المسلمين، وربحوا في التجارة مع الله وفي التجارة مع الناس.

والالتزام بالأخلاق الحميدة يحقق البركة في الأرزاق، فإذا كانت الأخلاق السيئة مثل الكذب والغش تمحق الرزق، فإن الأخلاق الحسنة مثل: الإخلاص، والصدق، والأمانة، وحسن المعاملة، وحسن الوفاء، والأداء، والعدل، والتسامح، والتيسير، وصلة الأرحام، تزكي الرزق وتُسبب البركة.

وليس هذا هو المجال لتناول هذه الأخلاق تفصيلاً، فيرجع بشأنها إلى المؤلفات المتخصصة مثل: كتاب «الأخلاق» للشيخ عبدالله دراز، وكتاب «خُلق المسلم» للشيخ محمد الغزالي، وكتاب «دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي» للدكتور يوسف القرضاوي، ولكن نعرض نماذج من تلك الأخلاق ودورها في تحقيق البركة في الأرزاق.

• أثر خُلق الأمانة في بركة الأرزاق: يبارك الله عز وجل للمسلم الأمين في معاملاته، ولقد رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة التاجر الصادق الأمين إلى مرتبة الشهداء والصالحين في الآخرة، فقال صلى الله عليه وسلم: «التاجر الصدوق الأمين مع الصديقين والشهداء» (الترمذي)، والتفسير الاقتصادي لهذه الحديث هو أن الناس يفضلون التعامل مع التاجر الأمين الصادق الذي لا يغش ولا يدلس ولا يقامر ولا ينقض المواثيق والعهود، وهذا يؤدي إلى زيادة التعامل معه، فتزداد مبيعاته، وينمو ماله، و يبارك الله له في ربحه.

• أثر خُلق الصدق في بركة الأرزاق: الصدق مجلبة للرزق الطيب الحلال المبارك، والكذب ممحقة للرزق، ولقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصدق في كل شيء، وشدد على التجار بصفة خاصة، فقال: «إن التجار يُبعثون يوم القيامة فجارًا، إلا من اتقى الله وبر وصدق» (الترمذي). وقال في حديث آخر رواه ابن ماجة وابن حبان: «إن التجار هم الفُجَّار، قالوا يا رسول الله: أليس الله قد أحل البيع؟ قال: بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون». فإذا كان الكذب ممحقة للرزق، فإن الصدق مجلبة للرزق.

• أثر خُلق الشكر في بركة الرزق: الحمد والثناء على الله عز وجل بما أنعم ورزق، وشكره عليه يحقق البركة والزيادة العددية والمعنوية والحسية فيه. يقول الله تبارك وتعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ (إبراهيم:٧). ولقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالشكر في كل الأحوال فقال: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب» (رواه أحمد وابن أبي الدنيا). ويقول ابن قيم الجوزية: (الشكر منزلة فوق منزلة الرضا، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان، فالإيمان صبر وشكر، وقد أمر الله به ونهى عن ضده، ووعد أهله بأحسن الجزاء وجعله سببًا للمزيد من فضله).

• أثر خُلق القناعة والعفاف في بركة الرزق: الرضا التام بما أعطى الله عز وجل من الرزق يحقق البركة فيه، ولو كان قليلاً، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه» (رواه مسلم). وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم: إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراق نفس لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى» (متفق عليه). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًا في جسده، عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها» (رواه الترمذي). وكان الإمام علي يدور في الأسواق ويقول: (معاشر التجار، خذوا الحق تسلموا، ولا تردوا قليل الربح فتُحرموا كثيره)، ويقول ابن خلدون: (إن الربح بالنسبة لأصل رأس المال يجب أن يكون نذرًا بسيطًا، لأن المال إذا كثر عَظُمَ الربح، لأن القليل في الكثير كثير). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد إلا رفعه الله» (البخاري ومسلم والترمذي)، ولقد ورد في الأمثال والحكم: القناعة كنز لا يفنى.

• أثر خُلق صلة الرحم في بركة الرزق: الرحم مشتقة من اسم الله (الرحمن) ومن صفات الله (الرحيم)، وأمرنا الله عز وجل بصلتها في كثير من الآيات، وجعل ذلك من صفات المؤمنين المتقين، فقال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (النساء:١)، وقال عز وجل: وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ (الأحزاب:٦). وجعل الله من يقطع رحمه من المفسدين في الأرض، وهذا وارد في قوله تبارك وتعالى: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (محمد:٢٢). وفي الحديث القدسي، قال الله عز وجل: «أنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن يصلها أصله، ومن يقطعها أقطعه فأبتُّه» (الإمام أحمد وأبو داود والترمذي).

والأحاديث النبوية عن صلة الرحم قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» (البخاري وأحمد).

وعن علاقة صلة الرحم بالأرزاق، يقول الرسول ﷺ: «من سره أن يُبْسَطَ له في رزقه، وأن يَنْسَأَ له في أثره فليصل رحمه» (البخاري)، والمعنى أن الله عز وجل يوسع أرزاق من يصل رحمه، ويطيل له في عمره.

تعليق عن دور الأخلاق في جلب الرزق:

في الماضي كان الفكر السائد هو فصل الأخلاق عن جلب الأرزاق، وترتب على ذلك الكثير من المشكلات النفسية والسلوكية والاجتماعية، ولاسيما في مجال الأعمال. والتي صعب حلها من خلال النظم واللوائح والقوانين، وظهر فكر جديد يتزعمه العديد من المفكرين الغربيين بضرورة العودة مرة أخرى إلى القيم والأخلاق، وتقوم نظريتهم الجديدة على المبدأ القائل: (الأخلاق الحسنة تؤدي إلى أعمال تجارية رابحة)، وبلغة أخرى الالتزام بالأخلاق يقود إلى مزيد من الأرزاق.

وهذه النظرية الجديدة تُعتبر من أصول الفكر الإسلامي، ولكن الباعث على الالتزام بالأخلاق في جلب الأرزاق في الإسلام هو الإيمان الكامن في النفوس، ووجود الضمير الحي الرقيب على المسلم في السر والعلن، وأن الامتثال بالأخلاق من واجبات الدين والطاعة لله ولرسوله، وبهذا يبرز الفرق بين بواعث الالتزام بالأخلاق في الفكر الإسلامي وفي الفكر الوضعي.

أثر الالتزام بالضوابط الشرعية في بركة الأرزاق:

الصلاح والإخلاص من موجبات رضا الله عز وجل وتحقيق البركات، ولقد ورد ذلك في قول الله تبارك وتعالى في نهاية سورة الكهف: فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا (الكهف:١١٠)، ويكون العمل صالحًا إذا كان مطابقًا لشرع الله سبحانه و تعالى، ومن يحيد عن ذلك لا يبارك الله له في

رزقه، ولا في ولده، ولا في أي شيء حتى ولو بسط له الرزق، فهذا ابتلاء واستدراج، ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

والملتزم بشرع الله لا يضل ولا يشقى، بل يبارك الله له في رزقه، وأصل ذلك قول الله عز وجل: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ،وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكا (طه:١٢٣-١٢٤)، وقوله سبحانه وتعالى: وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً (الجن:١٦-١٧)، وهذا من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه، ليس في أمة سيدنا محمد فقط، بل في الأمم السابقة كذلك، فقد قال الله في أهل الكتاب: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (المائدة:٦٥-٦٦).

ولقد ورد عن القرطبي في معنى هذه الآيات: ولو أنهم عملوا بمقتضى التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما لوسعنا عليهم في أرزاقهم، وأكلوا أكلاً متواصلاً، فجعل الله التقى من أسباب الرزق، ووعد بالمزيد لمن شكر.

وقال صاحب تفسير غرائب القرآن: «لو عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى، ومن الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحافظوا على أحكامها وحدودها، أو أقاموا نصب أعينهم تطبقهما لئلا ينسوا من التكاليف. والحاصل أنه سبحانه وتعالى وعدهم سعادة الدارين بشرط الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقدم السعادة الأخروية بقسميها، وهما دفع العذاب، وإيصال الثواب لشرفها. من عرف مقصوده فإنه يكون قاصدًا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب.

وهذه التفاسير تقرن الالتزام بشرع الله عز وجل بتوسعة الأرزاق والحياة الكريمة في الدنيا، وبين تكفير الذنوب والفوز بالجنة في الآخرة. ويلتزم ذلك على الالتزام بأحكام التوراة والإنجيل بدون تحريف وعلى ما ورد بالقرآن الكريم.

ولقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالالتزام بالضوابط الشرعية في مجال جلب الأرزاق بصفة عامة، وفي مجال المعاملات بصفة خاصة، ففصلت السنة الشريفة الحلال لنتبعه، والحرام لنتجنبه، كما قنن فقهاء المسلمين ذلك في صورة مجموعة متكاملة وشاملة من القواعد والأحكام والمبادئ واردة تفصيلاً في كتب فقه المعاملات.

ومن الأحكام الشرعية الواجب الالتزام بها في جلب الأرزاق ما يلي :

- أن يكون مصدر الرزق حلالاً طيبًا.
- تجنب البيوع غير المشروعة مثل: الاحتكار والاستغلال والغرر والجهالة والتدليس والغش والنجش والعينة والتلجئة.. وكل صيغ البيوع غير المشروعة.
- تجنب المعاملات الربوية ولا سيما التي تقع في الشبهات.
- تجنب التعامل مع أعداء الدين والوطن الحربيين حتى لا تكون فتنة.
- الالتزام بالأولويات الإسلامية في الإنتاج والكسب والتعامل والإنفاق.
- إيتاء حق الله في المال: الزكاة والصدقات.
- إعطاء المجتمع حقه.
- جلب المنافع ودرء المفاسد للمجتمع.
- إعطاء العمال حقوقهم بدون بخس ولا إعضال.
- توثيق المعاملات والعقود والاتفاقيات والإشهاد عليها.

- تجنب الإسراف والتبذير والمظهرية والخُيَلاء والترف وما في حكم ذلك.
- التوازن بين نصيب الدنيا ونصيب الآخرة في توزيع الأرزاق.
- كثرة الاستغفار لتزكية الأرزاق وتنميتها.

أثر إتقان العمل وتحسينه في بركة الأرزاق:

العمل في الإسلام ضرورة شرعية، وحاجة بشرية، وعبادة لله، وامتثالاً لأوامره، فهو القائل سبحانه وتعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (الملك:١٥)، وقوله عز وجل: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ (الجمعة:١٠).

يأمرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات المباركات بضرورة السعي والانتشار في الأرض للحصول على الرزق الطيب كغذاء مادي للبدن ليقوى على عبادة الله عز وجل، كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على السعي والضرب في الأرض طلبًا للرزق. فقد قال صلى الله عليه وسلم: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» (رواه أحمد). وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده» (رواه أحمد)، وقال صلى الله عليه وسلم: «العبادة جزء من عشر أجزاء: تسعة منها في طلب الحلال» (متفق عليه).

وإتقان العمل وتحسينه في الإسلام واجب ديني، ويُقصد به بذل أقصى درجات الجهد البشري، والاستعانة بالأساليب والأدوات المعاصرة والمتاحة للوصول بالنتائج إلى الدرجات والمستويات العليا، ولا يقوم به إلا ذوو الهمم العالية، والإرادات القوية.

ولقد ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يدل على وجوب إتقان العمل وتحسينه في كافة مجالات الحياة لتحسين الجودة.

فمما ورد بالقرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى:

- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} (الكهف:٣٠).
- { وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (البقرة:١٩٥).
- {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (الملك:٢).
- {وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} (النجم:٣١).
- {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ} (النساء:١٢٥).
- {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (هود:٧).
- { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } (النحل:٩٧).

وتدور معاني الآيات السابقة إلى وجوب الإحسان في حياة المسلم في العبادات والمعاملات، وفي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ومن ثمرات الإحسان الجزاء الأوفى من الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

ولقد فصلت السنة النبوية الشريفة الإحسان والإتقان في العمل، وأعطى الرسول صلى الله عليه وسلم ، نماذج عملية لذلك، منها على سبيل المثال قوله صلى الله عليه وسلم:«إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن» (رواه البيهقي). وجاء في الحديث برواية أخرى تحمل نفس المعنى، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب من أحدكم إذا عَمِلَ عملاً أن يتقنه» (رواه البيهقي)، ويقول صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يحب العبد المحترف» (رواه الطبراني). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»

مسلم والترمذي). وهذه الأحاديث تشير إلى ضرورة إتقان العمل وتحسينه في كافة جوانب الحياة.

ويحقق الالتزام بالإتقان والجودة منفعة دنيوية، وهي زيادة الكسب والمنفعة، أي البركة في الأرزاق، كما أن لذلك ثوابًا في الآخرة لأن إتقان العمل عبادة، وليس هناك من حرج شرعي في الاستعانة بأهل الاختصاص والخبرة في تحسين الجودة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى: { أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (النحل:٤٣)، وقوله عز وجل : { وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } (فاطر:١٤)، وقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً} (الفرقان:٥٩).

كما أن الاستعانة بالأساليب الحديثة والمخترعات التي تفتقت عنها عقول البشر بصفة عامة واجب شرعي وضرورة بشرية، ولقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله: «الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها» (الطبراني والترمذي).

أثر الاستغفار في بركة الأرزاق :

الاستغفار هو طلب المغفرة من المعاصي والذنوب، ولقد ورد مقترنًا بالتوبة في كثير من الآيات القرآنية، (والتوبة تعني الندم والعزم على عدم العودة إلى المعاصي والالتزام بالعمل الصالح). قال الله تبارك وتعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً } (النصر:٣)، ويقول عز وجل: {وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} (هود:٩٠).

وقال الله في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة» (الترمذي وقال: حسن صحيح).

كما ورد بالسنة النبوية الشريفة العديد من الأحاديث التي تحث المسلمين على الاستغفار والتوبة على دوام الأحوال، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (البخاري)

، وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم» (أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

والاستغفار من موجبات الأرزاق، فقد ورد في القرآن الكريم على لسان سيدنا نوح عليه السلام لقومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً } (نوح: ١٠-١٤). ولقد ورد في تفسير هذه الآيات العديد من المعاني العظيمة التي يجب على المسلم أن يعيها تمامًا، فيقول ابن كثير : (أي ارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب الله عليه، ويرسل الأمطار المتواصلة يتبع بعضها بعضًا ويكثر الرزق عليكم، ويسقيكم من بركات السماء، وينبت لكم من بركات الأرض، ويعطيكم الأموال والبنين، ويجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، ويتخللها بالأنهار الجارية بينهما).

ويقول صاحب الظلال رحمه الله في بيان معنى الآية السابقة: (قد ربط الله بين الاستغفار والأرزاق، وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء، وهذه القاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحياة، كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون. والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد، وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهًا حقيقيًا لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله، ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل والأمن للناس

جميعًا إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها في الأرض، واستخلفها فيها بالعمران والصلاح سواء.

كما ربط الله عز وجل بين الأمطار التي هي من أسباب الأرزاق والخيرات في الأرض في نداء سيدنا هود عليه السلام إلى قومه (قوم عاد) قوله: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ } (هود: ٥٠-٥٢)، ولقد ورد في تفسير هذه الآيات أن هودًا عليه السلام طلب من قومه الاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب والتوبة عما يستكبرون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ شأنه( )، ويرسل لهم السماء بالأمطار يسقون بها زروعهم ودوابهم في الصحراء، وينتفعون بالخصب الناشئ من هطول الأمطار في تلك البقاع.

ومن المعالم الظاهرة في الآيات القرآنية السابقة العلاقة السببية بين عقيدة التوحيد وبين الاستغفار وبين مسببات الأرزاق ومنها الأمطار والأرض وما يخرج منها من الزروع والثمار التي يسعى إليها الناس ومن مطلوباتهم، وهذا تأكيد على حقيقة شمولية الإسلام، وأنه لا يمكن الفصل بين القيم الإيمانية والأخلاقية، وبين مسببات الأرزاق.

ولقد فصلت السنة النبوية العلاقة بين الاستغفار والأرزاق في عديد من الأحاديث الشريفة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجا، ورزقه الله من حيث لا يحتسب» (أبو داود وابن ماجة). فمن فضل الاستغفار أن الله عز وجل يُفَرِّج به ما يهتم له المسلم، ويزيل سببه وينجيه من الهم، ويوسع له في رزقه، ويبارك له فيه، كما أن الاستغفار بتوبة نصوح يطهر ويصلح القلوب، فتتحرك

الجوارح المكلفة بجلب الأرزاق إلى السبل الحلال، فتكون البركة بإذن الله عز وجل، ومن ثَم فقد وصَّانا الرسول صلى الله عليه وسلم بمداومة الاستغفار وكان الأسوة الحسنة لذلك، فقال: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (البخاري). وقال الحسن البصري: (أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم فإنكم ما تدرون متى نزل المغفرة).

والاستغفار وقاية من كسب الرزق الحرام أو التعامل مع الخبائث إذا كان صادقًا ويقينًا، وهذا يحقق البركة والنماء، كما أن الاستغفار يضبط المسلم على طريق الفلاح والخيرات.

خاتمــة :

بما أن المعاصي والذنوب تمحق البركات من الأرزاق، فإن الطاعات والأعمال الصالحات تحقق البركات الظاهرة وغير الظاهرة التي يستشعرها الإنسان بقلبه، وتتمثل في زيادة المنافع في الحياة الدنيا، والأجر والثواب في الآخرة، والمسلمون في هذا العصر في أشد الحاجة إلى أن يفقهوا ما يُوجب البركات في الأرزاق لعلاج ما يشكون من المحق، فنجدهم يصطرخون ويقولون:

- الراتب ليس فيه بركة.
- مال كثير ولا يكفي مؤنة الحياة.
- عندما يأتي المال يفتح له أكثر من باب.
- ياليت أحدًا يأخذ مالي ويرد لي عافيتي.
- لماذا ابتلانا الله بالأمراض.

وهكذا..

فلو أن هؤلاء عرفوا ما يحقق لهم البركة فيما رزقهم الله، واستقاموا على طريق الأعمال الصالحة، وأطاعوا الله ورسوله، لتحقق لهم الخير في الدنيا والآخرة، ولكن أخذهم الله بما كانوا يكسبون، ويقع على عاتق العلماء والفقهاء ورجاء الدعوة الإسلامية المسئولية في أن يبصروا هؤلاء بالمبادئ والأحكام الإسلامية الموجبة للبركة في الأرزاق ليلتزموا بها.

وفي ضوء ما سبق بيانه تفصيلاً في هذا الفصل نستنبط منه موجبات تحقيق البركات في الأرزاق في صورة وصايا وتوجيهات:

أولاً: الإيمان التام بأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكتب له رزقه وأجله،

مصداقًا لقول الرسول : «لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم» (البيهقي وابن ماجة)، وهذا الإيمان يوجه المسلم صوب الحلال، ويبعده عن الحرام، وبذلك تتحقق البركة في الرزق.

ثانيًا: الالتزام بتقوى الله سبحانه وتعالى، وتتمثل في العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقليل، والتقوى تعني استشعار مراقبة الله ، وهذا يضبط المسلم نحو ما يُرضي الله، وبذلك تتحقق البركة في الرزق.

ثالثًا: التسبب والتوكل على الله سبحانه وتعالى الخالق الرازق، ومن يفعل ذلك بصدق وإخلاص يبارك الله له فيما رزقه، بل ويرزقه من حيث لا يحتسب، والتوكل لا يغني عن التسبب لأن ذلك من السنن الكونية، وما يرزق به الله يزيد نفعه وبركته عند الإيمان بأنه من عند الله.

رابعًا: الالتزام بالقيم الأخلاقية الحميدة مثل: الإخلاص، والصدق، والأمانة، وحسن المعاملة، وحسن الأداء، والقناعة، والتسامح، والتيسير، وصلة الأرحام، والدافع للمسلم بالالتزام بهذه القيم هو العبادة، والطاعة لله سبحانه وتعالى، وليس لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فإذا صدقت النية مع الله تحققت منه عز وجل البركة.

خامسًا:إتقان العمل وتحسينه من مسببات الأرزاق، والالتزام بذلك عبادة وطاعة لله ولرسوله، والباعث على ذلك حب الله، مصداقًا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (رواه البيهقي).

سادسًا:المسارعة إلى التوبة والاستغفار، فقد ورد في القرآن الكريم على لسان سيدنا نوح وهو يدعو قومه، قوله عليه السلام: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً

مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً   وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً } (نوح:١٠-١٤). وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا، ورزقه الله من حيث لا يحتسب» (أبو داود وابن ماجة).

الفصل الثالث
أثر الذنوب في محق الأرزاق

- تمهيد.
- معنى الذنب في ضوء القرآن والسنة.
- منشأ (مصدر) الذنوب في ضوء القرآن والسنة.
- أقسام الذنوب وأنواعها في الفقه الإسلامي.
- الكبائر من الذنوب في ضوء القرآن والسنة.
- الصغائر من الذنوب: ومتى تُصبح الصغيرة كبيرة؟
- الذنوب صغيرها وكبيرها ممحقات للأرزاق ومهلكات للأمم والشعوب.
- مما ورد بالقرآن الكريم عن أثر الذنوب في محق الأرزاق وهلاك الشعوب.
- مما ورد بالسنة النبوية عن أثر الذنوب في محق الأرزاق وهلاك الشعوب.
- نماذج من قصص القرآن عن هلاك أقوام الرسل والأنبياء بسبب ذنوبهم.
- نماذج من قصص القرآن عن هلاك بعض الأفراد بسبب ذنوبهم.
- استدراج أصحاب الذنوب بسعة الرزق وكثرة المال والأولاد والسلطان.
- الخاتمة.

الفصل الثالث
أثر الذنوب في محق الأرزاق

تمهـــــــــيد:

يرتكب العبد ذنبًا عندما يقوم بعمل نهى الله ورسوله عنه، أو عندما يُقصر في أداء فريضة أو واجب مما أمر الله به، وللذنوب آثار سيئة على القلوب وعلى الأرزاق، وهي سبب رئيسي في هدم الأمم، وهلاك الشعوب، وضياع الحضارات.

والذنوب والسيئات تمحق البركة من كل شيء، يقول العلماء إنها سبب في محق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة، فلا تجد أقل بركة ممن عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وارتكب سيئة وأحاطت به خطيئته.

وفي هذا الفصل سوف نتناول بشيء من التفصيل معنى الذنوب وأقسامها وأنواعها وكيف تنشأ (مصدرها)، وسنعطي أدلة من الكتاب والسنة ومن أقوال الفقهاء والعلماء توضح أثر الذنوب في محق الأرزاق الظاهرة والباطنة، وهلاك الأمم والشعوب، ثم نعرض نماذج مما ورد في القرآن الكريم من قصص عن أقوام الرسل والأنبياء وكيف أن الله أهلكهم بذنوبهم، وكذلك نتناول عرض قصص صاحب الجنتين، وقارون، وقوم سبأ، وأصحاب الجنة، وكيف أن الله عاقبهم بعصيانهم وذنوبهم بأن أهلك رزوعهم وثمارهم وديارهم جزاءً بما طغوا وتكبروا وبطروا النعمة، ويختص الجزء الأخير من هذا الفصل ببيان حكمة الله في استدراج بعض المذنبين ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

معنى الذنب في القرآن والسنة :

معنى الذنب في اللغة: الذنب: هو الإثم الذي يأتي من مخالفة لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويرجع ذلك إلى أحد أمرين:

• ترك المأمور به سواء كان فريضة أو واجبًا أو سنة.

• فعل المنهي عنه سواء كان من الكبائر أو الصغائر.

والذنوب تأتي من المعاصي، وجزاء ذلك السيئة، وتتراكم الذنوب والسيئات حتى تُهلِك الأفراد والأمم والشعوب.

معنى الذنب في القرآن الكريم:

لقد وردت كلمة الذنب في كثير من الآيات القرآنية بمعنى الإثم والجرم والمعصية والسيئة، إما بسبب القول أو الفعل، فقد ورد على لسان سيدنا موسى عليه السلام لربه في القرآن الكريم: {وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ } (الشعراء:١٤)، وكان ذلك الذنب أن قتل سيدنا موسى عليه السلام رجلاً من قوم فرعون.

كما ورد في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، قول الملك: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ } (يوسف:٢٩)، فقد أمر الملك يوسف عليه السلام بكتمان ما وقع وألا يُحَدِّثْ به أحدًا، كما قال لزوجته استغفري لذنبك الذي وقع منك وهو إرادة السوء وإلصاق الخطيئة بيوسف وهو برئ منها.

معنى الذنب في السنة النبوية:

والسنة النبوية حافلة بالعديد من الأحاديث التي توضح معنى الذنب وآثاره، منها قوله: «إياكم والمعصية، فإن العبد ليذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم، وإن العبد ليذنب الذنب فَيُحْرَم قيام الليل، وإن العبد ليذُنب الذنب فَيُحْرَم به رزقًا كان قد هُيئ له»، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ}، قد حرموا خير جنتهم بذنبهم» (أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» (رواه أحمد).

منشأ (مصدر) الذنوب في ضوء القرآن والسنة :

مصادر الذنوب:

تنشأ الذنوب بصفة عامة من مصدرين أساسيين:

١- ذنوب بفعل القلوب، مثل: الكفر، والتأله على الله بالعظمة والكبرياء والعلو، والحق والحسد، والبغضاء والكراهية، والبغي، والنفاق والمكر السيئ، والبدع وسوء الظن، والأنانية، والرياء، وتنشأ هذه الذنوب بسبب ضعف الإيمان وسوء الأخلاق، وكلما ضعفت قوى الخير في القلوب، قويت قوى الشر، فتنشأ الذنوب.

٢- ذنوب بفعل الجوارح، مثل: الزنا واللواط والاغتصاب، والقذف باللسان، والنميمة والغيبة، والقتل والضرب، والسرقة والرشوة والغش والحرابة، وأكل أموال الناس بالباطل، وعدم إيتاء الزكاة، وشرب الخمر وما في حكمها، والكذب والخيانة والغدر، والسخرية، والاحتكار، والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، والغلظة في القول، والغضب، ولعب الميسر،والإسراف والتبذير، والبخل والشح، والظلم.

مرض القلب سبب الذنوب:

وتنشأ الذنوب بسبب مرض القلب، أو موته، فلا يستطيع أن يسيطر على الجوارح، ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (رواه البخاري ومسلم).

ويقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: لكل عضو من أعضاء البدن توبة:

- توبة العين: كفها عن النظر لما حرم الله.
- توبة السمع: كفه عن سماع المحرم.
- توبة اليدين: كفهما عن تناول الحرام.

• توبة القدمين: كفهما عن السعي إلى الحرام.

• توبة الفرج: كفه عن الزنا.

• توبة اللسان: كفه عن الدعاء بمكروه أو الكذب والقذف.

• توبة العقل: كفه عن التفكير في المحرم.

أقسام الذنوب وأنواعها في ضوء الفقه الإسلامي:

يقسم أهل العلم والفقه الذنوب من حيث الحقوق إلى:

(١) ذنوب تتعلق بحقوق الله سبحانه وتعالى، أي تتعلق بالعلاقة بين العبد وربه، مثل إهمال العبادات والطاعات، ويجب على العبد أن يتوب ويطلب العفو من ربه، لأنه حق الله عز وجل مبني على المسامحة، وقد وعد الله عز وجل بأن يغفر هذه الذنوب فقال تبارك وتعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ } (الزمر٥٣-٥٤). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيُغفر لهم» (رواه مسلم).

(٢) ذنوب تتعلق بحقوق العباد، مثل ذنوب السرقة، والحرابة، والقذف، والقتل، والزنا، وشهادة الزور، والبغي، والربا، وخيانة الأمانة، والرشوة، والتطفيف في الكيل والميزان، ومنع الزكاة..، ولقد وضع الله لها الحدود والتعزيرات، وهي قائمة على المشاحّة ورد الحقوق إلى أصحابها والإبراء منها، ويقع على ولي الأمر في الدولة الإسلامية تطبيق تلك الحدود وتوقيع العقوبات بالتعزير.

وإذا مات العبد قبل أن تُرد هذه الحقوق إلى أصحابها أو الإبراء منها فسوف تُرد لهم يوم القيامة من حسناته، وإذا نفدت تلك الحسنات أُخذ من سيئاتهم وحطت عليه.

(٣) ذنوب تتعلق بحقوق المجتمع، مثل: ذنوب عدم إيتاء الزكاة، والغش، والتدليس، والغرر في الأسواق، والبغي والفساد في الأرض، ومنع المعروف، والأمر بالمنكر، ويقع على ولي الأمر على جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المحافظة على حقوق المجتمع، ورد حقوقه المغتصبة.

وقد وضع الله سبحانه وتعالى لها الحدود والتعزيرات لرد الحقوق المغتصبة إلى الدولة المسئولة عن المجتمع.

كما يقسم العلماء والفقهاء الذنوب من حيث درجتها إلى: كبائر وصغائر، وسوف نوضح كلاً منهما بشيء من التفصيل على النحو التالي:

الكبائر من الذنوب في ضوء القرآن والسنة :

الكبيرة هي: مخالفة ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع على ذلك الفقهاء، ومن أمثلتها: الشرك بالله عز وجل، وقتل النفس، والزنا، والربا، وأكل مال اليتيم، والفرار يوم الزحف، وغير ذلك على النحو الذي سوف نفصله بعد قليل. ويقول الفقهاء أن الكبيرة هي ما كانت تتعلق بأكثر من حق: حق الله عز وجل، وحق المعتد عليه، وحق المجتمع، ولقد سبق أن أوضحنا ذلك.

ولقد وعد الله تعالى أن يُكَفِّر الصغائر من السيئات إذا ما اجتنبت الكبائر والمحرمات( ) ودليل ذلك قوله تبارك وتعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً } (النساء:٣١)، وقوله عز وجل: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ } (النجم:٣٢).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتُنِبَت الكبائر» (رواه مسلم والترمذي).

وهناك اختلاف بين الفقهاء حول حصر عدد الكبائر، فمنهم من يحصرها في السبع التي وردت في الحديث الشريف: «اجتنبوا الموبقات السبع، قالوا: وما هن يا رسول

الله؟، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (رواه مسلم والبخاري).

ويرى ابن عباس رضي الله عنهما وابن تيمية (أنها إلى السبعين أقرب منها إلى السبع)، وقال بعضهم أن عدد الكبائر غير محدد، وهنا من المعاصي من يعتبرها البعض كبيرة ويعتبرها البعض الآخر صغيرة، ويقول صاحب كتاب الكبائر: (الذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئًا من عظائم الذنوب مما فيه حد في الدنيا، كالقتل والزنا والسرقة، و جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه كبيرة)( )، وهذا هو الرأي الأرجح.

من كبائر الذنوب التي وردت بالقرآن الكريم:

لقد ذُكرت بعض الكبائر في القرآن الكريم في العديد من الآيات منها:

• يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (الأنعام: ١٥١.١٥٣).

• ويقول الله تبارك وتعالى: {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ

الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } (الفرقان:٦٨-٧٠).

• ويقول الله عز وجل: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} (الحج:٣٠).

• ويقول الله جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (المائدة:٩٠).

• ويقول الله سبحانه وتعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (الأعراف:٣٣).

• ويقول الله عز وجل: {وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} (البقرة:٢٧٥).

• ويقول الله تبارك اسمه: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (البقرة:١٧٣).

• ويقول الله جلا وعلا: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ} (الأعراف:١٥٧).

• ويقول سبحانه وتعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } (المطففين:١-٣).

• ويقول الله عز وجل: { وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (لقمان:١٨).

• ويقول الله تبارك وتعالى: {وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ } (القلم:١٠-١٢).

• ويقول الله جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (الأنفال:٢٧).

• ويقول الله العزيز الحكيم: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (البقرة:١٨٨).

هذه الكبائر وغيرها توضح المحرمات التي نهى الله عنها، ومن يرتكبها فقد ارتكب كبيرة من الكبائر، وهذا بخلاف ما أمر الله به من الفروض والواجبات.

من الكبائر التي وردت بالسنة النبوية الشريفة:

لقد ورد بالسنة النبوية المشرفة العديد من الأحاديث النبوية التي ذكرت فيها بعض الكبائر منها:

• يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (رواه مسلم والبخاري عن أبي هريرة).

• ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر» (رواه الإمام أحمد).

• ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «خمس بخمس»، قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟، قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأُخِذُوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» (رواه الطبراني).

• ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور.. فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» (البخاري ومسلم).

• ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كَذَّاب، وعائل مستكبر» (رواه مسلم).

• ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله» (رواه ابن ماجة والبيهقي والطبراني).

• ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط، وذو ثروة من مال الله لا يؤدي فيها حق الله تعالى من ماله، وفقير فخور» (رواه ابن خزيمة وابن حبان).

• ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم ظلمًا، والعاق لوالديه، إلا أن يتوبوا» (رواه الحاكم بإسناد صحيح).

• ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» (رواه البخاري ومسلم).

• ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما راع غش رعيته فهو في النار» (رواه الطبراني بإسناد صحيح).

• ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» (رواه البخاري).

استنباط الكبائر مما ورد بالقرآن والسنة:

من أهم الكبائر التي وردت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة ما يلي( ):

- الشرك بالله سبحانه وتعالى.
- عقوق الوالدين وهجرهما.
- قتل النفس التي حرم الله عز وجل إلا بالحق.
- أكل مال اليتيم ظلمًا وبهتانًا.
- التطفيف في الكيل والميزان.
- الخمر والميسر والأنصاب والأزلام.
- نقض العهود والوعود والمواثيق.
- الزنا واللواط وما في حكم ذلك.
- الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- البغي والظلم والعدوان.
- أكل الربا بكافة صوره وأشكاله.
- الخبائث (الميتة . الدم . لحم الخنزير).
- شهادة الزور والتدليس والغرر والجهالة والاحتكار.
- السحر والدجل وما في حكم ذلك وتصديق الكاهن والمنجم.
- التولي يوم الزحف والخيانة.
- قذف المحصنات الغافلات المؤمنات.
- قطع الرحم وهجر الأقارب.

- السرقة والغصب وقطع الطريق.
- منع الزكاة.
- الرشوة والغلول وأكل أموال الناس بالباطل.
- الكذب واليمين الغموس.
- التكبر والتأله والتعظم على الله عز وجل.
- ترك الصلاة عمدًا.
- ظلم ولي الأمر الغاش لأمته.

الصغائر من الذنوب، ومتى تصبح الصغيرة كبيرة:

الصغيرة: هي ما نهى الله عز وجل ورسوله عنه من باب الكراهة وسد الذرائع، أو أنها تؤدي إلى الكبيرة، أو ما عدا الكبائر من الذنوب التي وردت بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على النحو السابق بيانه.

وتصبح الصغيرة كبيرة بالإصرار عليها، والمواظبة على اقترافها. يقول ابن مسعود رضى الله عنه: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا (طرده) » (متفق عليه).

وهذا يعني أن الصغيرة في نظر بعض الناس تكون كبيرة، وأن الكبيرة قد تكون في نظر بعض الناس صغيرة، ولقد فسر هذا المعنى أنس بن مالك رضى الله عنه حيث قال: (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات «الكبائر») (رواه البخاري).

متى تصبح الصغيرة كبيرة؟

يقول العلماء والفقهاء، أن الصغيرة تصبح كبيرة بما يأتي:

- الإصرار على فعلها.
- المواظبة على ارتكابها.
- التهاون والاستهتار بها.
- المجاهرة بفعلها.
- الاقتداء بمن يفعلها.
- التهاون بحلم الله عز وجل، والتذرع بأن الله عز وجل غفور رحيم.

ولقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكاب الصغائر، فقال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» (رواه أحمد من حديث ابن مسعود)، فعلى سبيل المثال يبدأ الرجل في التدخين مزاحًا وتقليدًا، ثم يدمن التدخين، ثم يجره هذا إلى الحشيش والأفيون والكوكايين وغير ذلك من المفترات والمسكرات، حتى يقع في الخمور وهو لا يدري. ومثال آخر يشيع في أوساط العامة من الناس وهو الاختلاط الذي يقود إلى النظرات السامة والأقوال الفاحشة، ثم إلى الزنا بالعين واللسان.. والفرج.

ولقد حَرَّمَ الإسلام الكثير من الأشياء والمعاملات من باب سد الذرائع، وكان الصحابة يتركون تسعة أعشار الحلال خشية الوقوع في الحرام.

الذنوب صغيرها وكبيرها ممحقات للأرزاق ومهلكات للأمم والشعوب:

يجمع أهل العلم ورجال الفقه أن الذنوب صغيرها وكبيرها مما يمحق البركة من الأرزاق، وأنها سبب رئيسي لهلاك الأمم والشعوب، ومن صور ذلك ما يلي:

- قلة المنفعة المعتبرة شرعًا من الرزق.
- نقص العمر، وضياع العلم، وخسران العمل.
- هلاك الرزق بالسرقة والرشوة والضياع والابتزاز.
- الابتلاء بالمصائب التي تأتي على الرزق فتهلكه، وعلى الشعوب فتضيعها.
- الابتلاء بالأمراض الخبيئة التي تهلك الأبدان وتضيع الأموال.
- القلق النفسي، والاضطراب العصبي، وعدم السكينة والأمن.
- تقليد واتباع الفاسقين المنحرفين، فيمحق الرزق ويهلك البدن.
- تسليط الأعداء لنهب الثروات.
- قلة الأمطار، وحدوث ا لجفاف، وهبوب الريح التي تهلك الحرث والنسل.
- حدوث الزلازل والأعاصير التي تدمر كل شيء.
- الابتلاء بالزوج أو الزوجة أو الأولاد الفاسقين.
- الركون إلى الذين ظلموا، الذين يقومون بأخذ (ابتزاز) الأموال بالباطل.

وسوف نعرض في الصفحات التالية نماذج من هذه الصور كما وردت في القرآن الكريم في قصص الرسل والأنبياء، وما حدث لأقوامهم.

مما ورد بالقرآن الكريم عن أثر الذنوب في محق الأرزاق وهلاك الشعوب:

لقد ورد في كتاب الله عز وجل العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد على أن ارتكاب الذنوب والسيئات يؤدي إلى محق البركة من الأرزاق، ويكون سببًا في هلاك الشعوب، من هذه الآيات ما يلي:

• يقول عز وجل: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } (القصص:٥٨)، ولقد ورد في تفسير هذه الآية أن الناس عندما طغوا وأشركوا وكفروا بنعم الله عز وجل التي أنعمها عليهم من الأرزاق، كان العقاب أن دثرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم، أي أصبحت خرابًا ليس فيها أحد.

• ويقول الله عز وجل مبينًا أثر ذنب التعامل بالربا على الرزق: {يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ } (البقرة:٢٧٦)، ويقول سبحانه وتعالى: {وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } (الروم:٣٩).

• يُبين ا لله عز وجل أثر الترف والبذخ على فساد المجتمع وهلاكه ودماره، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً } (الإسراء:١٦).

• وعندما لا تلتزم الأمم والشعوب بشرع الله عز وجل وتكثر ذنوبهم، يهلكهم ويأتي بقوم آخرين، وفي هذا المقام يقول الله عز وجل: {أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ } (غافر:٢١). ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ} (الأنعام:٦).

• ويبين الله عز وجل أن من أسباب الفساد في الأرض المعاصي والذنوب والسيئات، فيقول عز وجل: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (الروم:٤١). ويقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: (أن فساد قلوب الناس وعقائدهم وأعمالهم يوقع في الأرض الفساد،

ويملؤها برًا وبحرًا بهذا الفساد، ويجعله مسيطرًا على أقدارها، غالبًا عليها، فظهور الفساد هكذا واستعلاؤه لا يتم عبثًا، ولا يقع مصادفة، إنما هو تدبير الله عز وجل وسنته، ليذيقهم بعض الذي عملوا من الشر والفساد، حينما يكتوون بناره، ويتألمون لما يصيبهم منه، فيعزمون على مقاومة الفساد، ويرجعون إلى الله عز وجل ، وإلى العمل الصالح، وإلى المنهج القويم).

• ولقد ربط الله سبحانه وتعالى بين المصائب التي تحدث للبشرية وبين ذنوب العباد، فقال تبارك وتعالى:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ } (الشورى:٣٠)، ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب، فإنما هي من سيئات تقدمت لكم، ويعفو الله سبحانه وتعالى كثير من السيئات فلا يجازيكم عليها، بل يعفو عنها).

مما ورد بالسنة النبوية عن أثر الذنوب في محق الأرزاق وهلاك الشعوب:

لقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تبين أن المعاصي والذنوب والسيئات والرذائل والخطايا تمحق الرزق، وتُهلك الأمم والشعوب، نذكر منها ما يلي:

يقول الرسول : «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» (رواه أحمد والنسائي)، ففي هذا الحديث يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بسبب الذنوب يُحرم الناس الرزق.

• يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم الآثار المتعددة للذنوب فيقول: «إياكم والمعصية، فإن العبد ليُذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم، وإن العبد ليذنب الذنب فيُحرم قيام الليل، وإن العبد ليُذنب الذنب فيحرم به رزقًا كان قد هُيئ له»، ثم تلا الرسول صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل:{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } (القلم:١٩-٢٠)، قد حرموا خير جنتهم بذنبهم»

(أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردوية). ففي هذا الحديث يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن المعاصي تسبب النسيان، وتقلل التحصيل من الاستذكار والفهم، وأنها تسبب الكسل والعجز والخمول، فتمنع العبد من الاستيقاظ لقيام الليل، كما أنها تحرم العبد من الرزق الذي كان قدر له بسبب الأخذ بالأسباب وغيرها، ويُعطي الرسول صلى الله عليه وسلم نموذج قصة أهل ضروان التي جاءت في سورة القلم، وسوف نعود لها تفصيلاً فيما بعد.

• وفي حديث جامع يفصل الرسول صلى الله عليه وسلم أثر الذنوب على الأفراد والأمم والشعوب، ففي سنن ابن ماجة من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال: «يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم» (رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي). ففي هذا الحديث ذكر الله عز وجل من المعاصي والذنوب والسيئات الكبيرة: الفاحشة، ونقص المكيال والميزان، ومنع الزكاة، ونقض العهود، وعدم الحكم بكتاب الله ، فهذه الذنوب تسبب هلاك الأبدان بالأمراض، والقحط والجفاف، وظلم الحكام، واستيلاء الأعداء على الأموال، والشقاق والعراك والقتال بين المسلمين، وهذا حاصل واقعنا الأليم.

• ويوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أسباب المصائب والنكبات التي تنصب على الأمم والشعوب، الذنوب والسيئات، فيقول: «لا تصيب عبدًا نكبة فما

فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه كثير»، وقرأ الرسول : {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ } (الشورى:٣٠).

• وأحيانًا يعاقب الله سبحانه وتعالى الأمة بالعذاب في الدنيا بسبب فئة عاصية فاسقة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهرت المعاصي في أمة، عمهم الله بعذاب من عنده، فقلت: يا رسول الله، أما فيهم يومئذ صالحون؟ قال: بلى، قلت: فكيف يُصنع بأولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان» (رواه الإمام أحمد).

نماذج من قصص القرآن عن هلاك أقوام الرسل والأنبياء بسبب ذنوبهم

سنة الله عز وجل لا تتغير ولا تتبدل على مر الأزمنة والعصور، ومنها أن المعاصي والذنوب والسيئات والرذائل والخطايا من أسباب الهلاك والدمار ومحق البركات من الأرزاق، والقرآن الكريم حافل بالنماذج التي تحكي لنا مصير الأقوام والشعوب التي عصت فأخذهم الله عز وجل بذنوبهم، ولقد سبق أن عرضنا بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد سنة الله عز وجل في الذين خلوا، ولمزيد من التفصيل نعرض بعض النماذج من قصص الرسل والأنبياء منذ نوح عليه السلام، وحتى محمد صلى الله عليه وسلم لنأخذ منها العبر، ونوقن أن مصير الكافرين، المشركين، المتكبرين، المستهزئين، الظالمين، العاصين، المذنبين هو الهلاك والدمار، وصدق الله العظيم إذ يقول: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } (هود:١١٧).

وفيما يلي نماذج من الأقوام الذين عاقبهم الله بسبب كفرهم وعصيانهم لأنبيائه ورسله، وماذا فعل الله عز وجل بقوم نوح ، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، وفِرعون وقومه؟.

أولاً: عقاب قوم نوح بالغرق بسبب كفرهم واستكبارهم واستهزائهم:

عاقب الله سبحانه وتعالى قوم نوح بالغرق، فكانوا يعبدون الأصنام ودعاهم سيدنا نوح إلى عبادة الله عز وجل فأعرضوا، وعموا وصموا واستكبروا، ولم يستجب له إلا نفر قليل، ولما رأى نوح أن كلمة الله عز وجل قد حقت عليهم، وقضى وحيه أنه لن يؤمن أحد بعد، وأنه طُبع على قلوبهم، ووضعت عليها الأقفال فلم يعودوا يخضعون لبرهان، ونفد صبره، دعا عليهم، فاستجاب الله عز وجل دعاءه، وأوحى إليه أن يصنع الفلك ويركب فيها ومن آمن من قومه وأهله، ويحمل فيها من كل زوجين اثنين، وجاء العقاب بأن أمر الله عز وجل أبواب السماء أن تُفتح بالماء، وتفجرت الأرض بالعيون، وبلغ السيل الزبى، وارتفعت الأمواج، ونجى الله عز وجل نوحًا ومن آمن معه، وأغرق الكافرين، بسبب عصيانهم وذنوبهم، وصدق الله عز وجل إذ يقول:({وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلا ضَلالاً مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً } (نوح٢٤-٢٥).

ثانيًا: عقاب قوم هود بالريح العارمة بسبب كفرهم وعصيانهم:

أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا هودًا إلى قومه، وهم قبيلة عاد، وكانت تعيش بالأحقاف ما بين اليمن وعمان، وقد أسبغ الله عز وجل عليهم نعمه، ومنحهم بسطة في أجسادهم، وقوة في أبدانهم، وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، ولكنهم عاثوا في الأرض فسادًا، وأذل القوي الضعيف، وبطش الكبير بالصغير، فأرسل الله عز وجل إليهم أخاهم هودًا عليه السلام، وطلب منهم عبادة الله عز وجل وترك عبادة الأحجار التي ينحتونها، فأعرضوا عنه ورموه بالسفه والحمق، فأرسل الله عز وجل عليهم ريحًا فيها عذاب أليم، حملت رمال الصحراء، وظلت سبع ليال وثمانية أيام متتاليات، وأصبح القوم بعدها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، وصدق الله عز وجل إذ يقول: عز وجل إذ يقول: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

خاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ } (الحاقة:٦–٨)، ونجى الله سبحانه وتعالى هودًا ومن آمن معه.

ثالثًا: عقاب قوم صالح بالصاعقة بسبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم:

أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا صالح عليه السلام إلى ثمود الذين ورثوا قوم عاد، وفجر الله عز وجل لهم العيون، وغرسوا الحدائق والبساتين، ونحتوا من الجبال بيوتًا، وكانوا في سعة من العيش، ونعمة وترف، ولكن لم يشكروا الله عز وجل ، ولم يحمدوا فضله، بل زادوا في الأرض عتوًا وفسادًا واستكبارًا، وعبدوا الأوثان، وظنوا أن هذا النعيم خالد.. ولكن الله سبحانه وتعالى لم يمهلهم، وأنزل بهم عقابه، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين، ولم يمنعهم ما شادوا من قصور شامخة، وما جمعوا من أموال وافرة، وما غرسوا فيها من جنات واسعة، وما نحتوا من بيوت آمنة، فأصبحوا جثثًا هامدة، وديارًا خاوية، فكان هذا عقاب عصيانهم وكفرهم وذنوبهم، وقال سيدنا صالح عليه السلام: {وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } (الأعراف:٧٩)، ولكن لم يستجيبوا فعاقبهم الله عز وجل ، وصدق فيهم قوله تبارك وتعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ } (الحاقة:٥).

رابعًا: عقاب قوم لوط بالزلزال:

أرسل الله عز وجل سيدنا لوطا عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل ، وينهاهم عن فعل الفاحشة (اللواط) حيث كانوا لا يتعففون عن معصيته، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، وكانوا من أفجر الناس وأقبحهم سيرة، وأخبثهم سريرة، يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويتربصون لكل سار، ويسلبون منه ماله، وكانوا يأتون الذكران من العالمين، وأشربت قلوبهم الفاحشة، وأنذرهم سيدنا لوط عليه السلام، سوء الفاحشة فلم يأبهوا لتحذيره، واستخفوا بوعيده، فسأل لوط عليه السلام ربه أن ينصره على هؤلاء القوم المفسدين الفاسقين، ويوقع عليهم العذاب الأليم،

فاستجاب الله عز وجل دعاءه وأمره بالخروج هو وأهله من القرية، إلا امرأته، حتى إذا صار بعيدًا عنها جاءها أمر الله عز وجل ، ونزل بها عذابه، وزلزلت الأرض زلزالها، فصار عاليها سافلها، ثم غشيت بمطر من سجيل، فأصبحت ديارهم خرابًا، وبيوتهم خاوية بما ظلموا، وصدق قول الله عز وجل: {رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إلا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ } (الشعراء:١٦٩-١٧٤).

خامسًا: عقاب قوم شعيب بالحر الشديد والزلزال العنيف بسبب الكفر والتطفيف:

أرسل الله عز وجل سيدنا شعيبًا إلى أهل مدين بأرض كنعان في الشام، وكانوا يكفرون بالله عز وجل ويشركون به، إذ عبدوا الأيكة (غيضة تنبت الشجر) من دون الله، وكانوا يبخسون الناس أشياءهم، ولا يوفون الكيل والميزان، فقال لهم شعيب عليه السلام: {أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (الشعراء:١٨١-١٨٣)، فلم يستجب لدعوته إلا قليل، ولما يئس منهم دعا الله عز وجل أن يجزيهم على كفرهم وجحودهم وتكذيبهم، فاستجاب الله عز وجل وجل دعاءه، وابتلاهم بالحر الشديد، ففروا هاربين وخرجوا من ديارهم مسرعين، ثم رأوا سحابة ظنوها من وهج الشمس واقية، وحسبوها للحر دافعة، فاجتمعوا تحتها، ثم جاءتهم صيحة من السماء، وأحسوا بالأرض تتزلزل من تحت أقدامهم، ففزعوا لهول ما رأوا، وما كادوا يحسون ما حل بهم حتى أزهقت أرواحهم، وهلكت نفوسهم، ويقول الله سبحانه وتعالى عنهم: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ } (الأعراف:٩١-٩٢).

سادسًا: عقاب فرعون وقومه بالغرق بسبب كفرهم بدعوة موسى عليه السلام وعنادهم وطغيانهم وتألههم:

قصة سيدنا موسى مع فرعون كبيرة، فيها العديد من العبر والدروس، سوف نقطف منها ما يتعلق بموضوعنا وهو: هلاك الأمم والشعوب بسبب المعاصي والذنوب.

إن فرعون تمادى وطغى وعلا في الأرض، وجعل أهلها شيعًا يستضعف طائفة منهم، ويُذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين. دعاه سيدنا موسى عليه السلام إلى عبادة الله عز وجل ، وجاءه بالأدلة والآيات والمعجزات، ولكنه استكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وكذبوا بلقاء الله عز وجل. وقال له فئة من قومه: {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } (الأعراف١٢٧)، فأمر الله عز وجل سيدنا موسى بالخروج من مصر هو والذين آمنوا معه، فخرج من مصر، فأتبعه فرعون بجنوده عدوا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق له طريق في البحر يبسًا، فنجاه الله عز وجل وقومه إلى الشاطئ الآخر، ثم أمر الله عز وجل موسى أن يترك البحر ساكنًا على حاله، فسلك فرعون وقومه البحر فانطبق عليهم الماء فكانوا من المغرقين.

يقول الله تبارك وتعالى: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } (القصص:٤٠).

تعقيب:

صدق الله العظيم إذ يقول: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ } (غافر:٥١). لقد نصر الله عز وجل الأنبياء والرسل على القوم الكافرين المشركين الفاسقين المفسدين المتكبرين المتألهين، وفي هذا عبرة وموعظة للدعاة إلى الله عز وجل في كل زمان ومكان، فالنصر من عند الله العزيز الحكيم، فلا ييأسوا أبدًا، فالعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وبسبب المعاصي والذنوب والرذائل والخطايا والسيئات كان العقاب شديدًا، ولقد اختار الله عز وجل لكل قوم نوعًا من العذاب بما يتناسب مع عصيانهم وذنوبهم.

ولقد أمر الله عز وجل مخلوقاته من غير البشر لتكون وسيلة للعقاب: السماء، الأرض، الريح، الصواعق، الزلازل، البحار، وفي هذا إعجاز للبشر، فسبحان الله الذي له جنود السموات والأرض {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ } (المدثر:٣١).

نماذج من قصص القرآن عن هلاك بعض الأفراد بسبب ذنوبهم:

وقد ورد بالقرآن الكريم كذلك قصص عن مصير بعض الأفراد الذين ارتكبوا المعاصي والذنوب، مثل قوم سبأ، وأصحاب الجنة، وصاحب الجنتين، وقارون، وسوف نعرضها لنستنبط منها الدروس والعبر.

أولاً: قصة قوم سبأ: عندما طغوا وكفروا بنعمة الله، أرسل الله عليهم سي العرم:

كان قوم سبأ في نعمة سابغة، فكفروا وبالغوا في البطر، فأرسل الله عز وجل عليهم سيل العرم، فغرق الزرع، وهلك الضرع، ومُزقوا كل ممزق، ولقد صور الله عز وجل ذلك، فقال تبارك وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} (سبأ:١٥-٢٠).

مما ورد في قصة سبأ( ): أن رجلاً من الصالحين كان يعيش في اليمن، رزقه الله عز وجل رزقًا طيبًا مباركًا، ومات وترك لأولاده وقومه جنات وزروعًا وثمارًا، وكانوا

يعيشون في رغد وسعادة، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويعبدوه ويشكروه، وبعد فترة من الزمن كفروا بالنعمة، وبالغوا في البطر والأثرة، وعاندوا الرسل والأنبياء، وتكبروا وشغلوا بالعمران وبناء السدود، وطغوا، فعوقبوا بإرسال السيل العرم، فأهلك الزروع والثمار، وأتى على الجنات، وهلك الضرع، وتبدل ذلك إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، كما شردوا ومزقوا كل ممزق، وذلك بسبب عصيانهم وكفرهم وشركهم بالله عز وجل ، وتكذيبهم بالحق، وعدولهم عنه إلى الباطل، كانوا في نعمة سابغة فلم يحفظوها، وثياب من العز صافية فلم يصونوها، وجزاهم الله عز وجل بما كفروا، وصدق فيهم قول الله تبارك وتعالى: {وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ } (سبأ:١٧).

ثانيًا: قصة أصحاب الجنة: دبروا حرمان المساكين من الجنة فأرسل الله عز وجل عليها طائفًا فأصبحت كالصريم:

يقول الحق تبارك وتعالى عن قصة أصحاب الجنة كما وردت في سورة القلم: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (القلم:١٧_٣٣).

مما ورد في تفسير هذه الآيات أنه كان رجل طيب من أهل اليمن يعيش في مدينة ضروان، فيها ثمار وزروع وزهور ونخيل وأعناب، وكان للمساكين حق في ثمرها، ولا يبخل به، بل كان يوفيهم نصيبهم، ثم مات الرجل الصالح، ولقد فكر أولاده أن

يستأثروا بثمرها، وأن يحرموا المساكين من حظهم، وقالوا لم يعد بعد اليوم حق لسائل أو فقير ولا لابن سبيل، وتحفظ على رأيهم أوسطهم، وقرروا أن يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر، دون أن يستثنوا منه شيئًا للمساكين، وأقسموا على هذا، وعقدوا النية عليه، وباتوا على ما اعتزموا من الشر، فطاف عليها طائف من تدبير الله عز وجل فأصبحت خاوية من الثمر (مقطوعة الثمار).

وقد صَحُوا مبكرين كما دبروا، ينادي بعضهم بعضًا لينفذوا ما اعتزموا عليه، يذكر بعضهم بعضًا، ويوصي بعضهم بعضًا، ويحمس بعضهم بعضًا، ليستحلوا الثمر كله لهم، ويحرموا منه المساكين، وعندما فوجئوا بأن الحديقة خاوية مقطوعة الثمار، قالوا: ما هذه جنتنا الوافرة بالثمار؟ فقد ضللنا عنها الطريق، ولكنهم يعودون فيتأكدوا أن هذا هو الخبر اليقين، والآن وقد حاقت بهم عاقبة المكر السيئ، وعاقبة البطر والمنع، يتقدم أوسطهم وأعقلهم وأصلحهم ويبدو أنه كان له رأي غير رأيهم، ولكنه تابعهم عندما خالفوه وهو فريد في رأيه، ولم يصر على الحق الذي رآه فناله الحرمان كما نالهم، ولكنه يذكرهم ما كان من نصحه وتوجيهه، والآن فقط يستمعون للناصح بعد فوات الأوان، كما يتنصل كل شريك من التبعة الرديئة، ويرجون أن يغفر الله عز وجل لهم ويعوضهم خيرًا من الجنة الضائعة بسبب البطر والمنع والكيد وسوء التدبير.

ثالثًا: قصة صاحب الجنتين: عندما بطر النعمة، أرسل الله على الجنتين حسبانًا فأصبحتا خاويتين على عروشهما:

يقول الله تبارك وتعالى عن قصة صاحب الجنتين: وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً (٣٢) كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً

مِنْهَا مُنقَلَباً (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَكِنَّاْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً (٤٣) هُنَالِكَ الوَلايَةُ لِلَّهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً (٤٤) (الكهف:٣٢_٤٤).

ورد عن ابن كثير في تفسير هذه القصة: (ضرب الله عز وجل للمشركين المستكبرين مثلاً برجلين، جعل الله عز وجل لأحدهما جنتين من أعناب محفوفة النخيل، وفي خلالهما الزروع والثمار، وكانت الأنهار متفرقة هنا وهناك، وكان له ثمر، أي مال كثير، وكان يحاور الرجل الآخر ويفتخر عليه بالمال والخدم والحشم والولد، وكان كافرًا متمردًا متكبرًا منكرًا ليوم المعاد، وظن أن هذا كله لا يفنى ولا يهلك ولا يتلف، ويقول لئن كان هناك معاد ورجعة إلى الله عز وجل ليكونن لي أحسن من هذا الحظ عند ربي، قال له صاحبه المؤمن، أكفرت بالذي خلقك من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلاً، لكني لا أقول بمقولتك، بل اعترف بالله عز وجل لا أشرك به أحدًا، بل يجب عليك أن تشكر الله عز وجل الذي أعطاك المال والولد، وقال له فعسى ربي أن يؤتين خير من جنتك في الآخرة، ويرسل على جنتك التي ظننت أنها لا تفنى عذابًا من السماء (مطر مزعج) فتصبح ترابًا أملسًا، أو يصبح ماؤها غائرًا في الأرض، وحدث ذلك، فأصبح يقلب كفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أذهبها عليها وندم وقال: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً} (الكهف:٤٢)، بسبب بطر النعمة، والشرك بالله عز وجل والكفر به، والتعالي والتعاظم، كانت العقوبة أن هلكت الجنة بما فيها وضاع ما أنفقه عليها.

رابعًا: قصة قارون: عندما طغى وتكبر وبغى خسف الله به وبداره الأرض:

يقول تبارك وتعالى عن قصة قارون: إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي القُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) (القصص:٧٦_٨٣).

ولقد ورد في قصة قارون: (أنه كان من قوم موسى عليه السلام، وقد آتاه الله عز وجل بسطة في العيش، وسعة في الرزق، وكثرة في الأموال، فاجتمعت له أسباب السعادة، وفاز في الدنيا بنصيب لا يظفر به إلا القليل، فاضت خزائنه بالأموال حتى ضاق الحفظة ذرعًا بمفاتيحها وأثقلهم حملها، وناءت العصبة أولوا القوة بها، وكان يعيش عيشة البذخ والترف، ولا يخرج على قومه إلا في زينته. استحوذ عليه المال فطغى وتكبر واغتر وتجبر، وظن أن أحدًا لن يقدر عليه، فكان يفرض سلطانه على قومه ويسومهم البطش والعذاب، غرورًا واستئثارًا وكفرًا بالنعمة، واستكبارًا في الأرض.

قدمت له النصيحة بأن يوازن بين الدنيا والآخرة، ويعطي حقوق الفقراء والمحتاجين. ولكن قارون لم يأخذ بالنصيحة، فقد أشرب قلبه بالمال، وزاده الغنى علوًا واستكبارًا، وكان جافيًا في رده عليهم، وما أوتيت هذا المال إلا لأني به أجدر وأحق.

ورأى الذين يريدون الحياة الدنيا النعيم الذي فيه قارون فقالوا: «يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم». وحاول سيدنا موسى عليه السلام إصلاحه، وطلب منه أداء زكاة ماله، ولكنه أبى واستكبر، فقد طبع الله عز وجل على قلبه وران عليه الشح، ولما يئس سيدنا موسى من صلاحه دعا الله عز وجل أن ينزل به عذابه، ويخلص الناس من فتنته وإغوائه، فاستجاب الله عز وجل لدعائه، وخسف به وبداره الأرض، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله عز وجل وما كان من المنتصرين، وابتلعته الأرض، وضاعت فيها أمواله وقصوره، فكان عبرة لقوم موسى والمستضعفين من أتباعه، ولما رأى القوم ما حل بقارون رجعوا إلى أنفسهم نادمين على ما كان منهم، وحمدوا الله عز وجل أنهم لم يكونوا مثله.

بسبب ذنوب قارون، وهي بطر النعمة، والتكبر، والطغيان، وحرمان الفقراء والمساكين من حقوقهم، وعدم الاستجابة لدعوة موسى عليه السلام له، كان هلاكه وماله ولم ينصره أحد، وفي هذا عبرة لأمثال قارون في هذا الزمان.

تعقيب:

من القصص السابقة التي وردت بكتاب الله عز وجل، نستنبط العبر والدروس الكثيرة، منها: أن المعاصي والذنوب والسيئات والخطايا والرذائل تمحق البركات من الأرزاق، وتهلك الأمم والشعوب، حتى ولو نفش أصحابها وطغوا وظلموا، ولكن الله عز وجل يمهل ولا يهمل {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } (الفجر:١٤)، وهذا هو الاستدراج الذي يجب الحذر منه، ويحتاج إلى بيان نوضحه فيما يلي:

استدراج أصحاب الذنوب بسعة الرزق وكثرة المال والأولاد والسلطان:

يتساءل كثير من الناس، إذا كان من سنة الله عز وجل أن يُبارك في أرزاق المؤمنين المتقين المتوكلين عليه، والذين يسبحونه ويستغفرونه ويتوبون إليه، وإذا كان من سنة الله التي لا تتبدل أن يعاقب المشركين الكافرين الظالمين المفسدين والمترفين الفاسقين المتكبرين بمحق الأرزاق والهلاك والدمار، كما رأينا في أقوام الأنبياء والرسل في قصة قوم سبأ وأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقارون.

فما بالنا – مع الإيمان التام بهذه السنن – نجد بعض أصحاب المعاصي والذنوب والسيئات قد أغدق الله عليه بسعة الرزق وكثرة المال والأولاد والجاه والسلطان.. وفي نفس الوقت نجد بعض المؤمنين الصالحين في شظف من العيش وقلة المال؟!! وهذا هو الواقع الذي يراه كثير من الناس، فما تفسير ذلك؟

ولهؤلاء نقول: هذه إرادة الله سبحانه وتعالى ومن تدبيره، وله في ذلك حكمة أوضحها الله عز وجل في كتابه الكريم في العديد من الآيات في أكثر من مناسبة، كما فصلها رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث، وبينها العلماء والفقهاء في باب الاستدراج والإملاء، كما نود أن نؤكد هنا على ما ذكرناه آنفًا أن الرزق ليس أموالاً وأولادًا وسلطانًا فقط، بل كل ذلك وما شابهه من الرزق الظاهري الذي قد يُرى عند كثير من الناس، لكن هناك نوع آخر من الرزق وهو الرزق الباطني المعنوي الذي لا يحس به إلا صاحبه، من سلامة في البدن، وطمأنينة في القلب، وراحة في البال، ورضاء بما قسمه الله، وما شابه ذلك، وهذا النوع من الرزق لا تساويه أموال الدنيا ولا سلطانها، بل قد ينفق أصحاب المال والسلطان كل ما يملكونه ليحصلوا على سلامة البدن أو راحة البال، ولكن لا يحصلون على شيء.

ومن ذلك يستخلص المؤمن الدروس والعبر ليزداد إيمانًا مع إيمانه، ويقينًا مع يقينه، وثباتًا على ثباته، وسوف نعرض معالم الاستدراج والإملاء كما وردت في القرآن

الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة، وعند العلماء والفقهاء بإيجاز حسب ما يتسع له المقام.

الاستدراج والإملاء في القرآن الكريم:

من الفتن أن الله سبحانه وتعالى يبسط الرزق لبعض العصاة والمذنبين، كما فعل بقارون – كما سبق البيان – وهذا استدراج لهم، كما أنه ابتلاء لعباده المؤمنين.

ولقد ورد بالقرآن الكريم العديد من الآيات المحكمات التي توضح الاستدراج والإملاء، وتحذر المؤمنين من الفتنة، نعرض منها ما يلي:

• يقول الله تبارك وتعالى: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) (الأعراف:١٨٢-١٨٣). يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: (إن المكذبين بآيات الله لا يتصورون أبدًا أنه استدراج الله لهم من حيث لا يعلمون، ولا يحسبون أنه إملاء الله لهم إلى حين، فهم لا يؤمنون بأن كيد الله متين.. إنها سنة الله مع المكذبين، يرخي لهم العنان، ويملي لهم في العصيان والطغيان استدراجًا لهم في الهلكة، وإمعانًا لهم في الكيد والتدبير، ومن الذي يكيد؟ إنه الجبار ذو القوة المتين، ولكنهم غافلون، والعاقبة للمتقين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون).

• ويؤكد الله سبحانه وتعالى أنه يملي للكافرين الظالمين المكذبين، ولكن لهم عذاب شديد، حيث يقول سبحانه وتعالى: وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لُهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (آل عمران:١٧٨)، وقوله عز وجل: فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (القلم:٤٤_٤٥)، ويقول سبحانه وتعالى: وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ المَصِيرُ (الحج:٤٨).

• والله تعالى يأخذ الظالمين الكافرين بغتة مهما طال بهم الأمد، ولقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في القرآن الكريم، فقال الله عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (٩٥) (الأعراف:٩٤_٩٥)، وقال سبحانه وتعالى:(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ (المؤمنون:٥٥_٥٦).

ففي الآية الأولى يوضح المولى سبحانه وتعالى، أنه يفتح على الكافرين الظالمين أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى، وإملاء لهم – عياذاً بالله عز وجل من مكره – حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الأموال والأولاد والأرزاق أخذهم الله بغتة – أي غفلة – فإذا هم آيسون من كل خير.

وفي الآية الثانية يبتلي الله العباد بالبأساء والضراء لكي يرجعوا إليه ويدعوه بأن يكشف عنهم، فإذا رجعوا لغيهم مرة أخرى يأخذهم على غفلة وهم لا يشعرون.

وفي الآية الثالثة يؤكد المولى أن ما يمد الله به المكذبين من الكافرين من سعة في الرزق وكثرة المال والبنين ليس خيرًا لهم بل استدراج وهم لا يشعرون.

والعبرة المستخلصة من هذه الآيات عدم الفتنة بما وسع به الله على بعض العصاة المذنبين من مال وبنين وأرزاق لأن هذا من الاستدراج.

• ولقد حذر الله سبحانه وتعالى، رسوله والمؤمنين من الاغترار بالكافرين وطغيانهم وسلطانهم بالمال والجاه، فهذا متاع قليل في الدنيا، والآخرة خير للأبرار، حيث يقول الحق تبارك وتعالى في هذا المعنى: لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ (آل عمران:١٩٦_١٩٧). يقول صاحب الظلال: (تقلب الذين كفروا في البلاد مظهر من مظاهر النعمة والوجدان، ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحيك في قلوب المؤمنين وهم

عانون الشظف والحرمان، ويعانون الأذى والجهد، ويعانون المطاردة أو الجهاد، وكلها مشقات وأهوال، بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون..! ويحيك منه شيء في قلوب الجماهير الغافلة، وهي ترى الحق وأهله يعانون هذا العناء، والباطل وحزبه في منجاة، بل في مسلاة، ويحيك منه شيء في قلوب الضالين المبطلين أنفسهم، فيزيدهم ضلالاً وبطرًا ولجاجًا في الشر والفساد.. وهذا متاع قليل ينتهي ويذهب، أما المأوى الدائم الخالد فهو جهنم وبئس المهاد).

تعقيب:

إن الواقع الذي نعيشه أبلغ تعبر عن كلام الأستاذ سيد قطب، حيث نجد الأشراف الأطهار المجاهدين في سبيل الله، إمَّا خلف القضبان أو سجون الظالمين، أو في شظف العيش، والفاسقين المرتشين المفسدين الظالمين في حرية وبذخ وترف، كما نرى الذين يعبدون الله محاصرون أو مطاردون أو معتقلون، والذين يعبدون الشيطان وأعوانه يسيحون في الأرض فسادًا.

الاستدراج والإملاء في السنة النبوية الشريفة:

لقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأحاديث التي تفصل الاستدراج والإملاء للظالمين الكافرين المكذبين، من هذه الأحاديث ما يلي:

• يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج، ثم تلا قول الله تبارك وتعالى: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ » (رواه الطبراني وأحمد).

• ويقول صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الله يُعطي العبد ما يحب من المال وصحة البدن والجاه وغير ذلك وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك استدراج» (رواه أحمد والطبراني والبيهقي).

• ولقد أشار صلى الله عليه وسلم أن الله أحيانًا يُملي للظالم ولكن لا يفلته من العذاب الشديد، فقال: «إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ قوله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (هود:١٠٢).

الاستدراج والإملاء عند الفقهاء والعلماء:

• قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه موصيًا المؤمنين: (احذروا النعمة حذركم المعصية وهي أخفها عندي).

• قال ابن أبي حازم رحمه الله: (كل نعمة لا تقرب من الله سبحانه وتعالى فهي بلية).

• ورد في الأثر عن أحد السلف: (لا تغتروا بطول حلم الله عليكم، واحذروا أسفه – أي غضبه – فإنه تعالى قال: فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (الزخرف:٥٥)) (رواه البخاري).

• يقول الإمام الطبري( ):

(لا يحسبن هؤلاء الذين يذنبون من المسلمين، فإن الله قادر على إهلاكهم، وإنما يطول أعمارهم ليعملوا بالمعاصي، لا لأنه خيرٌ لهم، وإنما كان ذلك ليزدادوا عقوبة).

• يقول صاحب الظلال الشهيد سيد قطب( ):

(قد ينظر بعض الناس فيرى أممًا يقولون إنهم مسلمون مضيق عليهم في الرزق، ولا يجدون إلا الجديب والمحق!! ويرى أممًا لا يؤمنون ولا يتقون مفتوحًا عليهم في الرزق والقوة والنفوذ فيتساءل: وأين اذن هذه السنة التي لا تتخلف؟). يجيب الشهيد سيد قطب على ذلك: ولكن هذا وذلك وهم تُخيله ظواهر الأحوال! إن أولئك الذين يقولون إنهم مسلمون لا مؤمنون ولا متقون! إنهم لا يخلصون عبوديتهم لله ولا يحققون في واقعهم شهادة أن لا إله إلا الله! إنهم يسلمون رقابهم لعبيد منهم، يتألهون

عليهم ويشرعون لهم سوء القوانين أو القيم أو التقاليد، وما أولئك بالمؤمنين. فالمؤمن لا يدع عبدًا من العبيد يتأله عليه، ولا يجعل عبدًا من العبيد ربه الذي يصرف حياته بشرعه وأمره، ويوم كان أسلاف هؤلاء يزعمون الإيمان مسلمين حقًا دانت لهم الدنيا، وفاضت عليهم بركات من السماء والأرض، وتحقق لهم وعد الله عز وجل.

فأما أولئك المفتوح عليهم من الرزق، فهذه هي السنة {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء } (الأعراف:٩٥)، فهو الابتلاء بالنعمة وهو أخطر من الابتلاء بالشدة، وفرق بينه وبين البركات التي يعدها الله من يؤمنون ويتقون، فالبركة قد تكون مع القليل إذا أُحسن الانتفاع به، وكان معه الصلاح والأمن والرضا والارتياح، ولكن كم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة مهددة في أمنها، مقطعة الأوصال بينها يسود الناس فيها القلق وينتظرها الانحلال، وهو متاع بلا رضا، وهو وفرة بلا صلاح، وهو حاضر زاه يترقبه مستقبل نكد، وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال.

تعقيب:

ونخلص مما سبق أن الاستدراج والإملاء من سنن الله عز وجل، كذلك ابتلاء للمذنبين ليزدادوا إثمًا، وموعظة وذكرى للمؤمنين لكي يصبروا ويُصابروا ويُرابطوا ويتقوا الله ويفعلوا الخير لعلهم يُفلحون.

الخـــــاتمة:

يتنافس على قلب المؤمن قوتان: قوى الخير وقوى الشر، ولكل منها جنود، وقد أفلح من زكى نفسه بقوى الخير «الطاعات وعمل الصالحات»، وقد خاب من دسَّ نفسه بقوى الشر «المعاصي والذنوب والسيئات»، ويجب على المؤمن أن يعرف منشأ قوى الشر، كما فعل حذيفة حيث روي عنه أنه قال: «كان الصحابة يسألون الرسول عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه» حتى ينجو بنفسه من آثار المعاصي والذنوب والسيئات، لأنها إذا رانت تكون سببًا في محق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الأخوة، فلا تجد أقل بركة في كل حياته ممن يرتكب المعاصي والذنوب ولا يتوب ويستغفر ويعمل صالحًا.

ولقد تناولنا فيما سبق بشيء من التفصيل أثر الذنوب في محق الأرزاق، وهلاك الأمم والشعوب، وخلصنا إلى بعض المعالم (الأسس والمبادئ) رأيت أن أضعها في صورة مركزة تصلح أن تكون دليلاً للمؤمن تجنب المعاصي والذنوب حتى يحفظ دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله.

أولاً: ينشأ الذنب عندما يقوم الإنسان بعمل نهى الله ورسوله عنه، أو عندما يُقَصِّر أو يُفَرِّط في أداء ما كلفه الله به، لذلك يجب على المسلم أن يكون داعيًا إلى الخير، وآمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر، مطبقًا ذلك على نفسه أولاً (أصلح نفسك) ثم (ادع غيرك).

ثانيًا: الذنوب كبيرها وصغيرها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فحافظ على نعم الله بالطاعات، وتجنب المعاصي والسيئات، وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها   فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله   فإن الإلـه سريع النقم

ثالثًا: يُبدِّل الله السيئات حسنات لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا، ومن شروط ذلك التوبة النصوح والاستغفار ورد الحقوق لأصحابها أو الإبراء منها.

رابعًا: من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم عدم ارتكاب صغائر الذنوب فإنهن يأتين على الرجل فيهلكنه، يهلكن عمره ورزقه وعلمه وعمله.

خامسًا: من ممحقات الأرزاق ومهلكات الأمم والشعوب: الربا والزنا وأكل مال اليتيم والتطفيف والخمر والميسر والفواحش والبغي والظلم وشهادة الزور والكذب وقطع الرحم والتأله والتعظم.. ولقد ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نماذج تبين أثرها في محق البركة من كل شيء.

سادسًا: في قصص الأنبياء والرسل أنباء عن أثر المعاصي والذنوب في محق الأرزاق وهلاك الشعوب، وهذا جزاء الكافرين المشركين الظالمين المتكبرين المسرفين المترفين، وصدق الله إذ يقول: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (هود:١٧٧).

سابعًا: لقد عاقب الله قوم نوح بالغرق، وعاقب قوم هود بالريح العاتية، وعاقب قوم صالح بالصاعقة، وعاقب قوم لوط بالزلزال والأمطار، وعاقب قوم شعيب بالحر الشديد والزلزال العنيف، وعاقب فرعون وقومه بالغرق، كل ذلك بسبب كفرهم وتألههم وعنادهم وطغيانهم وظلمهم وارتكابهم الفواحش، وما ذلك من الظالمين ببعيد.

ثامنًا: لقد ورد بالقرآن الكريم أربعة نماذج توضح سنة الله التي لا تتبدل، وهي أن الله يمهل ولا يهمل مهما طال الأمد:

١- قوم سبأ: كانوا في نعمة سابغة، فكفروا وبالغوا في بطر النعمة، فأرسل الله عليهم سيل العرم، فغرق الزرع، وهلك الضرع، ومُزقوا كل ممزق.

٢- أصحاب الجنة: عندما تآمروا على حرمان المساكين من حقهم من البستان، فأرسل الله عليها طائفًا فأصبحت كالصريم.

٣- صاحب الجنتين: عندما تكبر وتعظم وكفر بالله عز وجل الذي خلقه، وأنكر الآخرة، أرسل الله على الجنتين حسبانًا من السماء فأصبحت صعيدًا زلقًا.

٤- قارون: عندما بغى وتكبر وتعظم، خسف الله به وبداره الأرض.

تاسعًا: من سنة الله الاستدراج والإملاء، حيث يبتلى أصحاب الذنوب والسيئات بسعة الرزق، وكثرة الأولاد، والأموال، والسلطان لحين، وليس هذا خيرًا لهم، بل ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب أليم. وصدق الله إذ يقول: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (الأنعام:٤٤_٤٥).

عاشرًا: يجب أن نحذر فتنة الذين كفروا وطغوا، الذين أمدهم الله بالمال والأولاد والسلطان، فهذا متاع قليل في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم، يقول الله: لاَ

يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ (آل عمران:١٩٦_١٩٧)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الله يُعطي العبد ما يحب من المال وصحة البدن والجاه وهو مقيم على المعاصي فإنما ذلك استدراج» (رواه أحمد والطبراني).

حادي عشر: يجب على المؤمن أن يعرف الحق فيتبعه، وأن يعرف طريق الباطل ليجتنبه، طريق الرحمن فيه الخير والبركات، وطريق الشيطان فيه المعاصي والذنوب، وكل ما يتصل بالشيطان ويقاربه محقت بركته.

وهذه الخلاصة تقودنا إلى وجوب معرفة الذنوب والأبواب المؤدية إليها حتى نتجنبها، وهذا هو موضوع الفصل التالي إن شاء الله وقدر.

الفصل الرابع
أثر كبائر الذنوب في محق الأرزاق

- تمهيد.
- المراد بكبائر الذنوب .
- أثر كبيرة الربا في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة الزنا في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة الخمر والمسكرات في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة الميسر (القمار) في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة الغش والتدليس والخديعة في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة التطفيف في محق الأرزاق.
- أكثر كبيرة الحلف الكذب في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة شهادة الزور في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة الخيانة والغدر ونقض العهود في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة المال الحرام في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة منع الزكاة في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة الإسراف والتبذير في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة الترف في محق الأرزاق.
- أثر كبيرة الكبر والمخيلة في محق الأرزاق.
- الخاتمة.

الفصل الرابع
أثر كبائر الذنوب في محق الأرزاق

تمهـــــيد:

الكبيرة من أعظم المعاصي والذنوب والسيئات التي تسبب أمراض القلوب وموتها، وتمحق الأرزاق وتهلكها، وتدمر الشعوب وتبيدها، وهنا أنواع من الكبائر شائعة الانتشار في المعاملات الاقتصادية، وبسببها يشكو الأفراد والحكومات والشعوب من الكساد والقحط والأزمات، وهذا ما يُسمى عند الفقهاء بمحق الأرزاق المادية الظاهرة.

ولأهمية هذا الموضوع خصصناه بمزيد من التفصيل والبيان في هذا الفصل، لنبين للناس خطرها العظيم لعلهم يرجعون إلى الحلال الطيب الذي فيه البركة والنماء في الأرزاق والخير للشعوب.

ومن الكبائر الشائعة في مجال الأرزاق المادية الظاهرة: الربا، والزنا، والخمور، والمسكرات على اختلاف أنواعها، والقمار (الميسر)، والسرقة، والاختلاس، والغول، والرشوة، والغصب، والغش، والتدليس، والتطفيف، والكذب، والتزوير، والخيانة، ونقض العهود والوعود، ومنع الزكاة، وفرض الضرائب الظالمة، والإسراف والتبذير، والترف، والخيلاء والتكبر.

ولنجتهد في هذا الفصل ببيان كيف تؤثر هذه الكبائر في محق البركة من الأرزاق على مستوى الأفراد والشعوب، وتسبب الحياة الضنك التي فيها شقاء وتعاسة وكيفية تطهيرها

المراد بالكبائر في مجال الأرزاق:

يُقصد بالكبائر من الذنوب، ما يرتكبه الفرد من ذنب وسيئة لمخالفته لأوامر الله ورسوله، وتتعلق بحق الله وحق الناس وحق المجتمع، حيث تسبب آثارًا سيئة على القلوب والأرزاق، وعلى حياة الشعوب.

ولقد تبين من تحليل أنواع الكبائر كما عددها الفقهاء أن معظمها له علاقة بالمعاملات المالية، منها على سبيل المثال: المعاملات الربوية، والتكسب من البغاء، والتكسب من تجارة الخمور والمسكرات والمدمنات والمفترات، والمقامرات في المعاملات المالية، والغش والتطفيف في الكيل والميزان، والأيمان الكاذبة الغموس، والتدليس والتزوير في المعاملات، والسرقة والاختلاس والرشوة، والاعتداء على أموال الغير بدون حق، ومنع الزكاة، وفرض الضرائب الظالمة والتي تُسمى عند الفقهاء بالمكوس، وكذلك الإسراف والتبذير والترف والتعامل في الخبائث، ونقض العهود والوعود، والمماطلة في أداء الحقوق والتكسب من الوظيفة، واستغلال المنصب والجاه في فرض إتاوات على الناس.

ولقد ورد بشأن هذه الكبائر السابقة أدلة من الكتاب والسنة ومن أقوال الفقهاء على أنها تسبب المحق في الأرزاق والأعمار والأعمال، وهذا ما سوف نتناوله تفصيلاً في الصفحات التالية.

أثر كبيرة الربا في محق الأرزاق:

لم يرد في كبيرة من الكبائر ما ورد في كبيرة الربا، ولم تُذم عادة من العادات، ولا معاملة محرمة من المعاملات، أشد وأقبح مما ورد في ذم من اعتادوا التعامل بالربا، وما بلغ من تفظيع أمر أراد الله ورسوله تحريمه مثل ما بلغ من تفظيع تحريم الربا، وما بلغ من تهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ تهديد من يتعاملون بالربا، لأنه ضرر على الفرد والأسرة والمجتمع والشعوب، ولذلك يُعتبر الربا من أفظع الرذائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ولقد صور القرآن الكريم من يأكل الربا بأنه مجنون، ومغالط، ومحاور، وملعون، وظالم، وكفار أثيم. يقول الله سبحانه وتعالى في تصوير حالة المرابي: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ(٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ

(البقرة:٢٧٥)، إلى قوله تبارك وتعالى في نفس السورة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (البقرة:٢٧٨_٢٧٩).

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتعامل بالربا بالزاني في جرمه فقال صلى الله عليه وسلم: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية» (رواه أحمد)، ويُعتبر التعامل بالربا من الموبقات السبع التي وردت في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (رواه مسلم والبخاري).

أثر الربا في محق الأرزاق وهلاك الشعوب:

التعامل بالربا أخذًا وعطاءً يمحق الرزق على مستوى الأفراد والشعوب، ولقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك في عديد من الآيات القرآنية، حيث يقول في سورة البقرة: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (البقرة:٢٧٦)، ولقد ورد في تفسير هذه الآية: (فها نحن نرى أنه ما من مجتمع يتعامل بالربا ثم تبقى فيه بركة أو رخاء أو سعادة أو أمن أو طمأنينة، إن الله يمحق الربا فلا يفيض على المجتمع الذي يوجد فيه هذا الدنس إلا القحط والشقاء، وقد ترى العين في ظاهر الأمر رخاءً وإنتاجًا وموارد متوفرة، ولكن البركة ليست بضخامة الموارد بقدر ما هي في الاستمتاع الطيب الآمن بهذه الموارد. تتفاقم الشقوة على قلوب الناس في الدول الغنية الغزيرة الموارد، والقلق النفسي الذي لا يدفعه الثراء، بل يزيده، ولا يبارك الله لهم في مال ولا عُمْر، ولا في صحة، ولا في طمأنينة بال).

وهذا المعنى السابق ورد في تفسير ابن كثير حيث يقول: (يخبر الله تعالى أنه يمحق الربا: أي يُذهبه، إما بأنه يُذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله، فلا ينتفع به، بل يعدمه به في الدنيا، ويعاقبه عليه يوم القيامة).

إن واقع الأفراد والشعوب التي تتعامل بالربا يفسر ما جاء بالقرآن حول محق البركة من الأرزاق حتى لو كثرت ويهلك الشعوب ولو نفشت.

ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث عن دور الربا في محق الأرزاق، روي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل» (رواه الإمام أحمد ورواه الحاكم في المستدرك).

والربا يؤدي إلى هلاك الأمم، ودمار الشعوب، وقرينه في ذلك الزنا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما ظهر الزنا والربا في قوم إلا أُهلُّوا بأنفسهم عذاب الله» (رواه أبويعلى بإسناد جيد)، والربا قرين التطفيف في الكيل والميزان، وكلٌ يمحق الرزق.. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون، ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما بخس قوم الكيل والميزان إلا منعهم الله القطر» (رواه ابن ماجة والبزار والبيهقي والحاكم).

ولقد أجمع فقهاء الأمة الإسلامية على تحريم الربا بكل صوره القديمة والمعاصرة، وفي هذا الخصوص صدرت العديد من الفتاوى عن مجامع الفقه الإسلامي وندوات ومؤتمرات الاقتصاد الإسلامي، والمصارف الإسلامية، وليس هذا هو المقام لعرضها تفصيلاً، ولكن نحيل القارئ إلى المراجع المتخصصة( )، كما أكد فقهاء المسلمين أن فوائد القروض، وفوائد البنوك، وشهادات الاستثمار من الربا المحرم شرعًا.

ومن يتدبر أحوال الأفراد والشعوب التي تتعامل بالربا من الناحية الاقتصادية يتأكد من حقيقة محق البركة والحياة الضنك والحروب، يقول علماء الاقتصاد الإسلامي: (يؤدي الربا إلى الخراب والإفلاس والكساد والركود الاقتصادي، ويقود إلى البطالة وتعثر المؤسسات والشركات، وإلى عجز في ميزانية الدولة المقترضة، كما يقود إلى تكدس الأموال في يد فئة قليلة تسيطر على الآخرين، وهذا كله من صور الحرب التي توعد الله عز وجل بها المتعاملين بالربا أخذًا وعطاءً وكتابة وشهادة).

نماذج من صور الربا المعاصرة: يجب الحذر منها:

من أهم المعاملات الربوية المعاصرة التي حرمها الفقهاء ما يلي( ):

- إيداع الأموال في البنوك بفائدة.
- الاقتراض أو الإقراض بفائدة.
- تأجيل سداد الدين نظير زيادته (جدولة الديون).
- العامل بالأموال النقدية وما في حكمها بالأجل.
- خصم الديون (بيع) لدى المؤسسات المالية ولدي غيرها.
- بيع العينة.
- بيع الدين بالدين.
- بيع الذهب بالأجل.
- خصم الكمبيالات لدى البنوك.

أثر كبيرة الزنا في محق الأرزاق:

يُعتبر الزنا من الكبائر ومن أفظع الرذائل لأنه اعتداء على العرض والنسل والمجتمع الإنساني، ولقد حرمته الشريعة الإسلامية وسدت كل الأبواب والطرق الموصلة إليه، مثل الخلوة، والنظرة السامة، والاختلاط، والتبرج، والسفور، ولقد ورد بشأن هذا التحريم أدلة من الكتاب والسنة على النحو التالي:

يقول الله تبارك وتعالى في تحريم الزنا: وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (الإسراء:٣٢)، ولقد ورد في تفسير هذه الآية: (أن الله سبحانه وتعالى ينهانا عن الزنا، وعن مقاربته، ومخالطة أسبابه ودواعيه، لأنه بئس الطريق والمسلك). يقول

الشهيد سيد قطب: (ما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال، منذ فجر التاريخ

القديم إلى العصر الحديث، وقد يغر بعضهم أن أوروبا وأمريكا تملكان زمام القوة المادية اليوم مع تفشي الفاحشة فيها، ولكن آثار هذا الانحلال في الأمم القديمة ظاهر). ويشبه سيد قطب رحمه الله ذلك بالشاب الذي يُسرف في شهواته فلا يظهر أثر الإسراف في بنيته وهو شاب، ولكنه سرعان ما يتحطم عندما يدلف إلى الكهولة.

• ويؤكد القرآن الكريم على أن الزنا من أعظم الكبائر، ومن يفعله يلق عذابًا مضاعفًا يوم القيامة، يقول الله سبحانه وتعالى في صفات عباد الرحمن: وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (٦٨) (الفرقان:٦٨_٧٠).

ولقد أمر الله عز وجل بعقاب الزاني والزانية بالجلد، فقال تبارك وتعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (النور:٢).

ويرجع السبب في هذا العقاب الشديد في الدنيا وفي الآخرة إلى أن الزنا يؤدي إلى الفساد: فساد الأسرة، وفساد المجتمع، وضياع الأنساب، ويحط من قدر الإنسان إلى قدر الحيوانات، كما أنه يسبب الأمراض الخبيثة، ويقود إلى الفقر، ولقد ورد عن رسول الله أحاديث كثيرة عن تحريم الزنا، وبيان آثاره في انحلال المجتمعات وهلاكها، معنويًا وخلقيًا واقتصاديًا، إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهر الزنا في قرية أذن الله عز وجل بهلاكها» (رواه أبو يعلى بإسناد جيد).

ولقد سبق أن أشرنا إلى معنى هذا الحديث من قبل، والذي نود التأكيد عليه في هذا المقام أن الهلاك مؤكد الحدوث، وليس من الضروري أن يكون في الحال، بل يكون بعد أجل، ولكن يجب على المسلمين أن يأخذوا من ذلك الدروس والعبر، ولقد روي

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له».

وكما أشرنا إلى الحديث الذي رواه ابن ماجة والبزار من حديث ابن عمر بن الخطاب الذي ورد فيه: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم» (رواه ابن ماجة والبزار).

أثر الزنا في محق الأرزاق:

يقول علماء الطب إن الزنا يؤدي إلى انتشار العديد من الأمراض، ومن أبرزها الإيدز، الذي يصيب الفرد والمجتمع، وله جوانب اقتصادية منها: ضعف الإنتاج من ناحية، وأن تكاليف علاجه باهظة من ناحية أخرى، كما أنه سريع الانتشار، وهذا نموذج عملي لمحق الرزق، وهلاك العمر، وضعف العمل.

ومن منظور فقه الاقتصاد الإسلامي فإن الكسب المادي الذي يحصل عليه الزاني أو الزانية أو الوسيط بينهما يعتبر من الحرام الخبيث، ويُطلق عليه مهر البغي، ولا يُبارك الله فيه، ولا يُعتبر مصدرًا للعيش، ولقد قال الحكماء: «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها».

ومما يؤسف له أن بعض الدول الإسلامية تسمح بطريق مباشر أو غير مباشر بالبغاء من خلال إعطاء تصاريح لذلك أو من خلال الفنادق والحانات، وتحصل رسومًا من الذين يرتادون هذه الأماكن تحت ستار السياحة والحريات، وهذه الدول يبتليها الله عز وجل بالمصائب، ويضيع ما جمعته من رسوم البغاء أضعافًا مضاعفة لعلهم يرجعون.

نماذج من صور الزنا المعاصرة يجب الحظر منها:

ومن أمثلة أبواب الزنا المعاصرة، والطرق والمسالك التي تؤدي إليه: التبرج والسفور والاختلاط وأفلام الخنا والفحش، وشرائط الكاسيت والفيديو التي تشيع الفاحشة، وأسواق التجارة والدعارة، وكل المكاسب من هذه الأبواب مكاسب حرام خبيثة لا يبارك الله فيها، وأصبحت هذه المسالك من أخطر مصادر الأموال القذرة والخبيثة، ويعلق على هذا أحد العلماء المعاصرين فيقول: «في عصرنا فُتح كل باب إلى

الفاحشة، وسهل الشيطان الطريق بمكره ومكر أوليائه، واتبعه العصاه والفجرة، ففشا التبرج والسفور وعم انفلات النظر المحرم، وانتشار الاختلاط، وراجت مجلات الخنا وأفلام الفحش، وكثر السفر (السياحة) إلى بلاد الفجور، وقام سوق تجارة الدعارة، وكثر انتهاك الأعراض، وازداد أولاد الحرام وحالات قتل الأجنة».

أثر كبيرة الخمر والمسكرات في محق الأرزاق:

يُعتبر شرب الخمر وما في حكمها من الكبائر، لأنها المدعاة إلى الشرور والمعاصي والفساد والهلاك والدمار، لأن العقل إذا اختل أو فتر أو غاب يستطيع صاحبه فعل أي شيء فيه ضرر جسيم، ليس على الفرد ذاته، بل يتعدى إلى المجتمع، ولقد شدد الله ورسوله على اجتنابه، يقول الله تبارك وتعالى في كبيرة الخمر: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (المائدة:٩٠_٩١).

فالخمر من عمل الشيطان، والخمر تصد عن ذكر الله، والخمر تصد عن الصلاة، والخمر توقع العداوة بين الناس، وهي اعتداء على أعظم رزق منحه الله لعباده.. ألا وهو العقل.

ولقد شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم على تجنب كل السبل والذرائع التي تؤدي إلى الخمر، فقال صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر» (رواه الحاكم)، وقال صلى الله عليه وسلم: «الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة، ووقع على أمه وخالته وعمته» (رواه الطبراني).

الملعونون في الخمر عشرة:

ولقد فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الملعونين بسبب الخمر، فقد روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعنت الخمر بعينها، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل

ثمنها» (أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما). ولقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أتاني جبريل عليه السلام

فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وشاربها، وآكل ثمنها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، ومستقيها» (رواه الإمام أحمد بسند صحيح، وابن حبان في صحيحه وقال صحيح).

فالملعونون في الخمر عشرة: تغطي المشاركين في كافة جوانبها: الصناعية والتجارية والخدمية، وهم:

١- الخمر ذاتها: لأنها من الخبائث التي تُذهب العقل.

٢-عاصر الخمر: من يشترك في عملية التصنيع (مرحلة العصر).

٣-معتصر الخمر: من يشترك في عملية التصنيع (مرحلة التجهيز والتعبئة).

٤-بائع الخمر: من يقوم بتسويق وبيع الخمر بالوسائل المختلفة.

٥-مشتري الخمر: من يشتر الخمر ليبيعها أو ليشربها.

٦-شارب الخمر: من يشرب الخمر (المستهلك).

٧-آكل ثمن الخمر: من يقوم بالتجارة أو من يُنفق عليه من كسب الخمر.

٨-حامل الخمر: من يقدم الخمر للناس مثل العاملين في الفنادق والملاهي والمنازل.

٩-المحمولة إليه الخمر: من يُحمل إليه الخمر، وقد يكون تاجرًا أو مستهلكًا.

١٠-ساقيها ومستقيها: من يسقي الناس الخمر ومن يشربها.

ويُقاس على الخمور كافة أنواع المسكرات والمفترات المعاصرة مثل الحشيش والأفيون والكوكايين وما في حكم ذلك.

أثر الخمر في محق الأرزاق وهلاك الأبدان:

تُعتبر الخمر من أخطر ممحقات الرزق: الرزق الباطني وهو العقل، والرزق الظاهري وهو المال، فهي اعتداء على أعظم رزق ساقه الله لعباده، وهو (العقل) الذي أُمرنا بالمحافظة عليه، وهذا من مقاصد الشريعة الإسلامية، والتي حددها العلماء والفقهاء في: حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال. بل إن العقل إذا غاب أو هلك لا يمكن لصاحبه المحافظة على المقاصد الأخرى، فالمخمور يُعرض نفسه للهلاك، ولا يصلي، ولا يذكر الله، ويعتدي على عرضه أو يعتدي على أعراض الناس، كما يُعرض ماله للهلاك.

وقد رُوي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل فيمن خلا من قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غوّية، فأرسلت إليه جاريتها تدعوه لشهادة، فدخل معها، وكلما دخل بابًا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية (إناء) خمر، فقالت إني والله ما دعوتك لشهادة، ولكني دعوتك لتقع عليَّ، أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر، فاختار الخمر فسقته كأسًا، فقال: زيدوني، فلم يرم حتى وقع عليها، أي زنا بها، وقتل النفس (الغلام) ». ثم قال عثمان رضى الله عنه «فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدًا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه» (رواه أحمد).

ويقول الأطباء أن تعاطي الخمر ومشتقاته وما في حكمها يقود إلى سلسلة من المضاعفات من أهمها:

- الفتور: وهذا يؤدي إلى ضعف العمل والإنتاج.
- غياب العقل: ويترتب عليه مخاطر اجتماعية ونفسية واقتصادية.
- أمراض السرطان: مثل الالتهاب الكبدي، فيروس B وأمراض الإيدز، والانتاء الدموي، والتسمم الحاد بالهروين، والتسمم المزمن، وخلل في الجهاز العصبي، والاضطرابات النفسية، وخلل في الجهاز الهضمي والبولي.

ويقول رجال الأمن.. أن السُكر من الأسباب الرئيسية لحوادث الفنادق والملاهي والطرقات، ويكون من ضحيتها (الحوادث) الموتى والجرحى، وتكبد الأفراد والدول نفقات باهظة.

وهذه المضاعفات وغيرها كثير تسبب محقًا في الأرزاق، وهلاكًا للأبدان، ونقصًا في الأعمار، وانهيارًا في الأخلاق والسلوكيات، وفسادًا في المجتمعات، فالخمر ومشتقاتها محق في محق، ولا يأتي منها إلا الفساد والشر، وصدق الله العظيم إذ يقول: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (المائدة:٩١)، وهذا النداء موجه إلى الأفراد والحكومات في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة.

والله سبحانه وتعالى يمحق البركة من الرزق المكتسب من معاملات الخمور ومشتقاتها وما في حكمها، حتى ولو كان كثيرًا، فالله سبحانه وتعالى يقول: قُل لاَّ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائدة:١٠٠).

دعوى أن الخمر تخدم السياحة والطيران دعوى جاهلية:

لا يبارك الله سبحانه وتعالى في رزقٍ يأتي من الحرام، وإن كان أمامنًا ظاهرًا ونافشًا وكثيرًا، فما يأتي من مكاسب من الخمر يضيع أضعافه هباءً منثورًا في المصائب التي تُبْتَلى بها الأمة بسبب محاربة شرع الله عز وجل ، ولقد ظن تجار مكة أنهم سوف يخسرون في تجارتهم بسبب منع الكفار من الاقتراب من المسجد الحرام، وبذلك يقل ربحهم، ولكن الحقيقة ظهرت فيما بعد، وهي أن بارك الله لهم في القليل، ويصور القرآن هذه الواقعة، يقول الله تبارك وتعالى: ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة:٢٨). وكان موسم مكة

الاقتصادي في الحج، حيث كان التجار ينتظرونه ويعدون له العدة، وتحريم وجود الكفار بالمسجد الحرام يعني ضياع

الموسم وتحقيق الخسارة، ولكن الله قد طمأن التجار المؤمنين بأنه هو المتكفل بمسألة الرزق، لأنه هو العليم الحكيم المقدر للأرزاق، ولقد تحقق ذلك فصار التجار المسلمون من أثرى التجار بالحلال الطيب.

ويجب على الأفراد الذين يتكسبون من صناعة وتجارة الخمور وتقديم خدماتها أن ينتهوا حتى يغنيهم الله من فضله، ويبحثوا عن مصادر رزق طيبة، وعلى الحكومات التي تخشى الفاقة وخسران السياحة أن تفيء إلى أمر الله سبحانه وتعالى، لأن الله عنده مفاتح الرزق، وهو القائل في كتابه العزيز: وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً (الجن:١٦).

والموضوع فيه كلام كثير من الناحية الاقتصادية، ولكن المقام لا يتسع، ولكن ما يجب التأكيد عليه أن كبيرة الخمر وما في حكمها فيها اعتداء على نعمة العقل، ومحقاً للأرزاق، كما تهلك البدن، وتضر بالمجتمع.

نماذج من صور الخمور والمسكرات والمفترات المعاصرة التي يجب الحذر منها:

لقد انتشرت زراعة وصناعة وتسويق وتجارة وتمويل الخمور والمسكرات والمفترات وما في حكم ذلك في الأزمنة المعاصرة، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- مزارع النباتات التي تصنع منها الخمور والمسكرات.
- مصانع الخمور والمسكرات ومستلزمات ذلك.
- معارض الخمور.
- أساليب الدعاية والإعلان عن الخمور ومشتقاتها.
- أماكن تعاطي الخمور المرئية منها والخفية.
- المؤسسات المالية التي تمول أنشطة الخمور والمسكرات وما في حكمها.

أثر كبيرة الميسر (القمار) في محق الأرزاق:

يعتبر الميسر من الكبائر التي نهى الله عز وجل عنها ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع على ذلك الفقهاء، لأنه تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، كما أنها من أخطر صور أكل أموال الناس بالباطل، ويعتبر الميسر ضرباً من ضروب القمار الذي كان سائداً في الجاهلية.

يقول الله تبارك وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ" (المائدة٩٠ ،٩١). ومما ورد في تفسير هذه الآية بخصوص الميسر: أنه القمار في اللعب، مثل النرد والشطرنج والحصى والورق، لأنه يدخل في نطاق أكل أموال الناس بالباطل، وكذلك المراهنات بعوض من المتسابقين، يقول المفسرون: "إن الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى سليباً لا شيء له، وينتهي إلى أن يقامر حتى على أهله وولده".

ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث التي تحرم الميسر بكل صوره وأشكاله، نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم: "من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق" (البخاري) فإذا كان مجرد القول بالمقامرة يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل لهو حرام إلا ثلاثة: ملاعبة الرجل أهله، ورميه عن قوسه، وتأديبه لفرسه" (متفق عليه) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا سبق إلا في خف(الإبل)، أو نصل (السهم)، أو حافر (الخيل) " (رواه أحمد والثلاثة وصححه ابن حبان).

والميسر عند الفقهاء مراهنة على غرر، يقول ابن سيرين ومجاهد وعطاء: "كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز"،وقال الإمام مالك:

الميسر ميسران : ميسر اللهو، فمنه النرد والشطرنج والملاهي كلها، وميسر القمار، وهو ما يتخاطر الناس عليه، والقمار المحرم هو أن يكون كل من المتقامرين غانماً أو غارماً.

أما إذا كان الغارم طرفاً ثالثاً مثل شخص آخر أو دولة، أو أن يخرج أحد المتسابقين مالاً فيقول لصاحبه إن سبقتني فهو لك، وإن سبقتك فلا شيء لك عليَّ ولا شيء لي عليك، أو كان المال من المتسابقين أو الجماعة المتسابقة ومعهم محلل يأخذ هذا المال إن سبق ولا يغرم إن سُبِقَ فهو جائز شرعاً.

أثر الميسر في محق الأرزاق وضياع الأوقات:

من آثار الميسر أنه يوقع العداوة والبغضاء بين المتقامرين، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهذا ينزع البركة من كل شيء، كما أنه هلاك للمال، وضياع للوقت بدون منفعة معتبرة شرعاً، كما يسبب العديد من الأمراض النفسية والعصبية، ويقود إلى مخاطر اجتماعية واقتصادية، بالإضافة إلى ذلك فإنه من ضروب أكل أموال الناس بالباطل.

والتفسير الاقتصادي لأثر الميسر في محق الأرزاق يتمثل في أنه ضياع للوقت، وهلاك للمال، فالوقت هو الحياة، وله قيمة اقتصادية، وإنفاق الوقت بدون منفعة إتلاف له، والمنفعة تتمثل في الكسب الطيب من الوقت المضاع المفقود فيما لو استُثْمِر هذا الوقت في أعمال نافعة، والوقت الضائع في اللهو غير المشروع مثل ألعاب القمار نموذج عملي وواضح لما يخسره الأفراد والشعوب بسبب القمار.

والمال قوام الحياة بصفة عامة، وأمرنا الله سبحانه وتعالى أن ننفقه في المجالات المشروعة التي تعود على الأفراد والشعوب بالمنافع والخيرات لإعانتهم على عمارة الأرض وعبادة الله عز وجل، والقمار كما يُجمع علماء الفقه والاقتصاد الإسلامي أنه هلاك للمال بدون منفعة معتبرة شرعاً، كما أن الغانم من القمار يبدد المال المكتسب في الخمر واللهو الباطل وفيما يُغضب الله، فلا بركة في مال أُكْتُسِبَ من حرام.

والميسر يؤدي في كل الأحوال إلى العداوة والبغضاء والمشاحنات والخصومات التي تتصاعد أحياناً إلى العراك والقتل أو الإضرار بالنفس، وهذا يُعتبر من أسباب هلاك الأبدان.

والأمة الجادة يجب ألا يلهو أفرادها لهواً فيه مخاطر على أمنهم ووقتهم ومالهم، ولن تُفلح أمة ينتشر فيها الخمر والميسر، مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "(المائدة:٩٠).

نماذج من صور الميسر المعاصر يجب الحذر منها:

كان أهل الجاهلية يتعاملون بالميسر في صورة القداح لاقتسام الجزور (صِغَار الإبل) بطريقة خاصة، منها على سبيل المثال: يشترك عشرة في بعير من الإبل بالتساوي، ثم يضرب بالقداح فسبعة يأخذون بأنصبة متفاوتة معينة في عرفهم، وثلاثة لا يأخذون شيئاً ويُقاس على صور هذه المعاملة المحرمة في وقتنا المعاصر ما يلي:

• أوراق اليانصيب: حيث يشتري الناس أوراقاً بأرقام معينة، ثم يجري السحب عليها، وكل فائز يأخذ جائزة مالية معينة، حتى ولو كانت لأغراض خيرية.

• شراء شيء مجهول وبداخله رقم معين، ثم يجري السحب عليه لتحديد الفائز بالجائزة.

• ألعاب النرد (الطاولة): ومن يفوز يأخذ من الآخر مبلغاً معيناً من المال، وبالقياس: الشطرنج وأوراق اللعب (الكوتشينة).

• مراهنات السباق: حيث يدفع كل متسابق مبلغاً من المال، ومن يسبق يأخذ كل المال (مسابقة بعوض من المتسابقين أنفسهم)، أما إذا كان المبلغ من غير المتسابقين فلا حرج.

• التأمين التجاري: بكل صوره يدخل في نظام المقامرة، وكذلك التأمين على الحياة.

• المضاربة في البورصات على فروق الأسعار هي ضرب من القمار أو الرهان غير المشروع.

أثر كبيرة الغش والتدليس والخديعة في محق الأرزاق:

يُعتبر الغش والتدليس والخديعة والغرر من الكبائر التي تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، وتسبب خللاً وفوضى في المعاملات، وتُفقد الثقة بين الناس.

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من كافة صور الغش والتدليس، فقال صلى الله عليه وسلم: "من حمل علينا السلاح فليس منَّا، ومن غشنا فليس مِنَّا" (رواه ابن ماجه)،

وقدم صلى الله عليه وسلم على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غشنا فليس مِنَّا" (رواه مسلم وابن ماجه والترمذي).

كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحيل والخداع وسوء النية ومكر السيء، وكل هذا يدخل في نطاق الغش، فقال صلى الله عليه وسلم: " من غشنا فليس منَّا، والمكر والخداع في النار" (رواه الطبراني بإسناد جيد وابن ماجه في صحيحه).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "من باع عيباً لم يبينه، لم يزل في مقت (غضب) الله ولم تزل الملائكة تلعنه" (رواه ابن ماجه)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المكر والخداع في النار" (رواه البزار من حديث أبي هريرة).

ولا ينحصر الغش فقط في المعاملات، بل يمتد إلى غش الراعي لرعيته، والحاكم للمحكومين، ففي هذا الخصوص يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أيما راعٍ غش

رعيته فهو في النار" (الطبراني)، وقال صلى الله عليه وسلم: "من استرعاه الله رعية، ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة" (البخاري).

أثر الغش والتدليس والخديعة في محق الأرزاق وفساد المعاملات:

الغش والتدليس والمكر والخديعة من ضروب الظلم ومحق البركة من الرزق، لأنه اعتداء على مال الغير بدون رضا وطيب نفس منه، كما أنه يسبب أضراراً فادحة في المعاملات في الأسواق، والأصل أن تقوم تلك المعاملات على الشفافية والمصداقية والأمانة، كما يجب أن يكون التاجر ناصحاً، مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المؤمنون بعضهم لبعض نَصَحة وآدون وإن بَعُدَت منازلهم وأبدانهم، والفجرة بعضهم لبعض غَشَشَة متخاونون وإن اقتربت منازلهم وأبدانهم" (رواه ابن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه).

نماذج من صور الغش والتدليس المعاصرة يجب الحذر منها:

لا تجد معاملة من بيع أو أو شراء إلا تقوم على الغش والتدليس، ومن ذلك ما يلي:

- ستر عيوب السلع بأن يكون الجيد أعلى والرديء مختفياً.
- خلط الجيد بالرديء، واستغلال جهل المستهلك بأحوال السوق والبضاعة.
- حيل الخديعة التي توقع المشتري.
- استغلال حياء وخجل المشتري.
- تلقي الركبان القادمين إلى الأسواق ولا يعرفون أحوالها.
- استغلال أهل الحضر سذاجة أهل البدو ويبيعون لهم السلعة بسعر أعلى، أو يشترون منهم بسعر أقل عن المعتاد في السوق.
- غبن الناس في السعر بالإشاعات الكاذبة.
- وكس الأسعار والاحتكار بكافة صوره.
- الإغراق الذي يؤدي إلى الاحتكار.

أثر كبيرة التطفيف في محق الأرزاق:

يُعتبر التطفيف من الكبائر التي نهى الله ورسوله عنه، لأنه ضرب من ضروب الظلم والاعتداء على أموال الناس بالباطل، ومن نتائجه الخسران والهلاك والبوار ومحق البركة، ولقد ورد في ذلك أدلة من الكتاب والسنة.

يقول الله تبارك وتعالى: "وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (المطففين:١-٦) ، ويُقصد بالتطفيف في هذه الآيات البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إذا اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إذا قضاهم، وكان ذلك من أعمال التجار في الجاهلية ولا سيما اليهود.

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في العديد من الآيات بأن نوفي الكيل والميزان، فقال تعالى: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ" (الإسراء:٣٥) وقوله عز وجل: " وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ" (الرحمن:٩) وقوله تعالى: " فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (الأعراف:٨٥) وفي هذه الآيات ينوه الله عز وجل إلى أن التطفيف ضرب من ضروب إحداث الفساد في الأرض والخسران.

ولقد عاقب الله تعالى قوم شعيب عليه السلام( ) بالحر الشديد، والزلزال المدمر جزاء رفضهم دعوة نبيهم، حيث ناداهم فقال: "يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (هود:٨٥،٨٤) ولكنهم رفضوا مستكبرين وقالوا:" يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ" (هود:٨٧) ثم كان العقاب كما ورد في قول الله عز وجل: وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (هود:٩٤).

ولقد نهت السنة النبوية عن كل صور التطفيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما طفف قوم كيلاً، ولا بخسوا ميزاناً، إلا منعهم الله تعالى القطر، وما ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما ظهر في قوم الربا إلا سلط الله عليهم الجنون، ولا ظهر في قوم القتل إلا سلط الله عليهم عدوهم، ..".

وفي حديث آخر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون، وما ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر (المطر)" (رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي والحاكم).

والتطفيف من الخصال التي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها في الحديث المروي عن ابن عمر رضي الله عنهما: "ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة وجور السلطان" (رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكانوا أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل: " وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ" فأحسنوا الكيل بعد ذلك" (رواه ابن ماجه وابن حبان) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والوزن: "إنكم قد وليتم أمراً فيه هلكت الأمم السالفة قبلكم" (رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الإسناد).

أثر كبيرة التطفيف في محق الأرزاق:

لقد بين الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم أن التطفيف ظلم وبخس وفساد في الأرض، ومن العقوبات التي سنها الله على من يطففون: منع الأمطار من السماء، وتُعتبر المياه من مصادر الأرزاق للمخلوقات جميعاً، وصدق الله إذ يقول: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (الأنبياء:٣٠)، ويقول عز وجل: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ" (النحل:١٠) ، ويقول سبحانه وتعالى:" وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ" (ق:٩)، ومنع القطر من السماء محق للرزق الذي كان قد هيأه الله لعباده.

كما أن من آثار التطفيف السيئة: المجاعات والقحط وشدة الجدب، وذهاب البركة، وشدة المؤنة، أي تصبح الحياة شاقة صعبة عالية التكاليف من ارتفاع الأسعار وقلة المنفعة، وحدوث الأزمات، بالإضافة إلى ذلك جور السلطان، ومن الأمثلة على ذلك المكوس التي يفرضها الحكام على الناس.

ومن آثار التطفيف السلبية أيضاً، الخلل في نظام المعاملات، وفقدان الثقة بين الناس، فإذا عرف الناس عن تاجر أو فرد أنه يطفف فيحجمون عن التعامل معه، وهذا في حد ذاته محق لرزق كان قد هيىء له فيما لو أنه لم يطفف.

وخلاصة القول أن التطفيف يؤدي إلى: المجاعات، والقحط، والأزمات الطاحنة، وقلة البركة في المال، وظلم الحاكم وهذا هو الواقع في حياتنا الاقتصادية، فهل نعتبر ونرجع إلى الله عز وجل ونتوب.

نماذج من صور التطفيف المعاصرة يجب الحذر منها:

من أهم صور التطفيف المعاصرة ما يلي:

• انخفاض جودة السلع المباعة عن المواصفات المتعارف عليها، ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: "إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه" (البيهقي).

• مخالفة البضاعة المباعة عن العينات المرسلة، وكانت أساس التعاقد، فأحياناً يقوم الصانع بعمل عينة ويعرضها للناس كأساس للتعاقد، وبعد التعاقد يقدم بضاعة أقل جودة.

• خلط الجيد بالرديء عند البيع بخلاف المتفق عليه، وهذا يتضمن غشاً وتطفيفاً مثل غش اللبن بالماء.

• التلاعب في أدوات الكيل والميزان والقياس.

• طبع النقود الورقية بدون غطاء ذهبي أو إنتاجي.

أثر كبيرة الحلف الكذب في محق الأرزاق:

يعتبر الكذب من صفات الكافرين والمنافقين، المسرفين، وهو من أفظع الكبائر التي نهى الله ورسوله عنها، ومن آثاره السيئة محق البركة من الرزق، ومن أدلة ذلك من الكتاب والسنة ما يلي:

يقول الله تبارك وتعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (النحل: (١١٦ ،١١٧) بل إن الله سبحانه وتعالى يضله بكذبه مصداقاً لقوله عز وجل: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ" (الزمر:٣) وقوله عز وجل: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (غافر:٢٨).

ولقد ندد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاذب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث، كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"(متفق عليه).

وَيكْثُر في الأسواق الحلف، ومعظمه كَذِب، وهذا يمحق الرزق، وورد بشأنه العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أربعة يبغضهم الله (يلعنهم) الله: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر" (رواه النسائي وابن حبان) ويقول صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يبيع إلا بيمين ولا يشتري إلا بيمين" (الطبراني) ففي هذين الحديثين يجعل الله البياع الحلاف قرين الشيخ الزاني والحاكم الظالم والعائل الفقير المتكبر.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: فكررها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فقلت: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب" (رواه مسلم وأبو داود والنسائي)، وفي هذا الحديث إشارة إلى التجار الذين يروجون بضاعتهم بالكذب زوراً وبهتاناً.

وفي تصوير حالة التجار الكذابين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن التجار هم الفجار، قالوا: يا رسول الله أليس الله قد أحل البيع؟ قال: بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون" (رواه أحمد والحاكم والطبراني).

وفي حديث آخر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن التجار يُبْعثون يوم القيامة فُجَّاراً، إلا من اتقى الله وبر وصدق" (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال صحيح الإسناد).

وفي بيان أن الحلف يمحق بركة البيع، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "البَيِّعَان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما" (البخاري) ويقول صلى الله عليه وسلم: "إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق" (مسلم)، وفي هذا تأكيد صريح على أن الحلف في البيع والشراء يسبب الخسارة.

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء التاجر الكذَّاب في الآخرة فيقول صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي، ورجل حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال امرىء مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول الله يوم القيامة اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك" (البخاري).

أثر الحلف الكذب في محق الأرزاق:

من خلق التاجر المسلم الصدق والأمانة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "التاجر الأمين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة" (ابن ماجة) ويحقق له الله البركة، أما التاجر كثير الحلف الكذاب لا يربح في الدنيا ولا في الآخرة، فعندما يكشف الله أمره بين التجار والمتعاملين، يحجم الناس عن التعامل معه، فيقل البيع، ويخسر، بالإضافة إلى خسارته في الآخرة.

ولقد فطن بعض رجال الأعمال إلى ذلك، ووضعوا المواثيق الأخلاقية وقالوا: (إن الأخلاق تقود إلى معاملات أفضل وأرباح أعلى)، ولقد سبقهم إلى ذلك التاجر المسلم الذي كان يأخذ تجارته وقيمه وأخلاقه ويجول العالم فحقق الحسنيين (الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والتجارة الرابحة)، فالكذب يؤدي إلى المحق والخسارة، والصدق يؤدي إلى البركة والربح.

نماذج من صور الحلف الكذب المعاصرة يجب الحذر منها:

إذا ذهبت إلى الأسواق تجد نماذج متعددة للكذب، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- الإعلانات التي تعطي معلومات غير صادقة.
- الأيمان المغلظة لترويج السلعة.
- المسابقات الخادعة.
- وضع علامة تجارية ذات سمعة عالية على بضاعة أخرى.
- تجنيد مجموعة من الصبية للمزايدة غير الحقيقية.
- الحيل والخدع التي لا تمثل الحقيقة.

أثر كبيرة شهادة الزور في محق الأرزاق:

تعتبر كبيرة شهادة الزور من أكبر الجرائم التي تشتمل على الكذب والخيانة والظلم، كما تسبب الفتنة وفساد الذمم، وأكل أموال الناس بالباطل، ولقد غلظ الله ورسوله عقوبة شاهد الزور إلى درجة أنه يعدل إثم الشرك بالله عز وجل وعقوق الوالدين، ودليل ذلك من كتاب الله تعالى قوله عز وجل: " فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ" (الحج:٣٠) قرن الله عز وجل في هذه الآية كبيرة قول الزور، ونفى عن عباده الصالحين ذلك، فقال عز وجل:" وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ" (الفرقان:٧٢) ويقول صاحب الظلال رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وعدم شهادة الزور قد تكون على ظاهر اللفظ ومعناه القريب، أنهم لا يؤدون شهادة الزور، لما في ذلك من تضييع الحقوق والإعانة

على الظلم، وقد يكون معناها الفرار من مجرد الوجود في مجلس أو مجال يقع فيه الزور بكل صنوفه وألوانه..).

ولقد ورد في الصحيحين عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت" (البخاري ومسلم) وقال صلى الله عليه وسلم كذلك: "عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عز وجل، ثم تلا قوله تعالى: " فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ" (رواه الإمام أحمد).

وقال الإمام الحافظ صاحب كتاب الكبائر أن شاهد الزور قد ارتكب أربع عظائم: (الكذب والافتراء، والظلم لمن شهد له، والظلم لمن شهد عليه، وأنه أباح ما حرم الله سبحانه وتعالى من عصمة المال والدم والعرض).

أثر شهادة الزور في محق الأرزاق:

قد تؤدي شهادة الزور إلى الفساد الاجتماعي والاقتصادي، ومنه البغضاء والعداوة والحقد والحسد بين الناس، ووقوع الظلم ذاته على من شُهِدَ ضده زوراً، ربما ضاعت حقوقه المالية فتكون شهادة الزور وسيلة من وسائل أكل أموال الناس بالباطل، كما أنها إعانة للظالم على ظلم الآخرين، وهي بهذا تمحق البركة من كل شيء.

ولقد انتشرت شهادة الزور في الواقع المعاصر، حتى أصبحت تجارة أو مهنة أمام المحاكم وما في حكمها، يأتي الظالم برجلين من عملاء الزور، ويقول لهما: اشهد بكذا وأنا أعطيك كذا، ويذهب الرجلان ويقفان أمام القاضي، ويُقسمان بأنهما سيقولان الحق، ثم يشهدان زوراً، فقد كذبا وظلما وكانا سبباً للاعتداء على حرمة المال، ناهيك عن أن هذه الكبيرة قد انتشرت في مجال توثيق الأنساب بغير حق، وما أكثرها في الأحوال والمحاكم الشخصية.

فشهادة الزور من أفظع الكبائر التي تمحق البركة من الرزق، ومن العمل، ومن العمر، ومن كل شيء، والمجتمع الذي تنتشر فيه شهادة الزور لا يُرجى له الخير.

نماذج من صور شهادة الزور المعاصرة يجب الحذر منها:

هناك صيغ وأشكال شتى لشهادة الزور في الحياة المدنية والقضائية والتجارية المعاصرة نذكر منها على سبيل التذكرة ما يلي:

- شهادة الزور أمام القضاء.
- شهادة الزور أمام مجالس التحكيم الودي.
- شهادات توثيق المواليد المزورة.
- شهادات الخبرة المزورة.
- الإقرارات المزورة التي تُقدم إلى الجهات الحكومية لكسب مال أو منصب.
- الشهادات العلمية المزورة.
- شهادات التوصية للعمل أو الترقية المزورة.
- وثائق الملكية المزورة التي تُقدم إلى البنوك للحصول على القروض.
- التزوير في الانتخابات في المجلس النيابية ونحوها.
- فواتير البيع والشراء والعلاج المزورة وما في حكم ذلك.

كما يأثم كل من:

- من يشهد أو يعتمد أو يوثق شهادات الزور.
- من يحضر مجالس فيها شهادات زور.
- من يتستر على شهادات زور.

أثر كبيرة الخيانة والغدر ونقض العهود في محق الأرزاق:

من الكبائر العظيمة القبيحة: الخيانة، ونقض العهود والمواثيق، ولقد نهى عن ذلك الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ولقد ورد بذلك أدلة من الكتاب والسنة: نسوق بعضاً منها فيما يلي:

يقول الله تبارك وتعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (الأنفال:٢٧) ولقد ورد في تفسير هذه الآية: (لا تخونوا دينكم ورسولكم بإطلاع المشركين على أسرار المؤمنين، وتخونوا أمانتكم، أي ما ائتمنكم عليه من التكاليف الشرعية، وخيانة الله سبحانه وتعالى بترك فرائضه، وخيانة الرسول صلى الله عليه وسلم بترك سننته، وارتكاب معصيته، والأمانات التي ائتمن الله عز وجل عليها العباد).

والخيانة تُعتبر من صفات المنافقين، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" (البخاري ومسلم) ولقد ورد في الصحيحين).

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كَذِبَ، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" (البخاري ومسلم) فلا عجب إذن أن ينفي الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان والدين عمن يخونون الأمانة ولا يفي بعهده فيقول صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له" (رواه أحمد والبزار والطبراني والحاكم).

وفي مجال المعاملات يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان خرجت من بينهما" (أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد) وفي رواية أخرى: "يد الله مع الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان أحدهما صاحبه رفعها عنهما" (الدارقطني).

ويعني ذلك أن الخيانة ترفع البركة ويحل المحق والخسارة والضرر، كما أن عدم الوفاء بالعهود والعقود تمحق الرزق، وتزرع في قلوب الناس الحقد والكراهية والبغضاء، والله تبارك تعالى يفضح الخائن ولا يهديه إلى الرشاد، إذ يقول الله عز وجل: وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" (يوسف:٥٢).

ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره" (مسلم) فكيف تحل البركة في من لا يهديه الله عز وجل بل فيمن كان الله عز وجل خصيمه؟ !! إنه المحق والخسران المبين.

أثر الخيانة ونقض العهود في محق الأرزاق:

الخيانة والغدر ونقض العهود وعدم الالتزام بالعقود من الموبقات التي تمحق الرزق، وتجلب البغضاء، وتفسد المعاملات وهذا يقود إلى الهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من أكثر أهل النار: رجل لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه" (مسلم).

نماذج من صور الخيانة والغدر ونقض العهود المعاصرة يجب الحذر منها( ):

من أهم صور الخيانة ونقض العهود المعاصرة، ما يلي:

- عدم الالتزام بالعهود وتأويل تفسيرها.
- استخدام أشياء العمل في مصالح شخصية دون إذن صاحب العمل.
- المماطلة في أداء الحقوق: "مطل الغني ظلم".
- عدم الوفاء بحقوق العاملين.
- عدم الانضباط والالتزام بعقد العمل.
- إفشاء الأسرار مقابل عرض أو منصب.
- الحصول على عمولات وإكراميات بدون علم صاحب العمل.

أثر كبيرة المال الحرام في محق الأرزاق:

للمال الحرام صور مختلفة، منها السرقة والاختلاس والغصب والغلول والرشوة وأكل مال اليتيم، وكذلك صور الكسب غير المشروع عن طريق البيوع المحرمة، وهو نقمة على صاحبه في الدنيا وفي الآخرة، وتنتزع منه البركة والنماء، ولقد حرم الله سبحانه وتعالى ورسوله الاعتداء على مال الغير، ولقد ورد ذلك تفصيلاً في كتابه الكريم، ولا يتسع المقام لذكر الآيات الكاملة ولكن نعطي بعض الأمثلة( ):

يقول تبارك وتعالى في جريمة السرقة: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (المائدة:٣٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده" (البخاري ومسلم) ويقول العلماء وأهل الفقه أنه من شروط توبة السارق أن يرد ما سرقه إلى أصحابه، فإن كان مفلساً تحلل من صاحب المال.

وتُعتبر الرشوة من أفظع صور المال الحرام، يقول الله تبارك وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" (النساء:٢٩) ويندد الرسول صلى الله عليه وسلم بأطراف الرشوة فيقول: "لعن الله الراشي والمرتشي والرائش" (الترمذي).

وأكل مال اليتيم من الكبائر التي نهى الله عز وجل ورسوله عنها، يقول الله عز وجل: "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (الإسراء:٣٤) ويقول عز وجل: " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" (النساء:١٠) ولقد ندد الرسول صلى الله عليه وسلم بالذي يأكل مال اليتيم فقال: "يبعث الله عز وجل قوما من قبورهم، تخرج النار من بطونهم، تؤجج أفواههم ناراً، فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: ألم تر أن الله تعالى يقول:"إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" (ابن مردويه وابن حبان).

ويحرم كذلك ما أخذ بسيف الحياء، وأصل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام" كما أن المماطلة في أداء الحقوق حرام، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "مطل الغني ظلم" (رواه الجماعة) وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما".

والمال الحرام بكافة صوره وأشكاله لا يبارك الله عز وجل فيه، بل يمحقه، وفي هذا الخصوص وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكر منها:

• يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يكسب عبد مالاً حراماً فيتصدق منه، ولا ينفق منه، فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث" (البيهقي من حديث ابن مسعود).

• ويقول صلى الله عليه وسلم: "ما اكتسب المرء من حيث شاء، ولا يبالي، أدخله الله تعالى النار من أي باب وكان لا يبالي" (الديلمي).

• ويقول صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان، ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو من حرام"(النسائي بإسناد صحيح).

• ويقول صلى الله عليه وسلم: "ما اكتسب المرء درهماً من غير حله، ينفقه على أهله ويبارك له فيه، أو يتصدق به فيقبل منه، أو يخلفه وراء ظهره إلا كان ذلك زاده إلى النار"(أحمد والبزار).

• ويقول صلى الله عليه وسلم: "كل لحم نبت من السحت (الحرام) فالنار أولى به" (الترمذي والطبراني).

• ويقول صلى الله عليه وسلم: "لأن يجعل أحدكم في فيه (فمه) تراباً خيراً من أن يجعل في فيه حراماً" (رواه أحمد).

• ولقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على الحلال الطيب في كافة نواحي الحياة، في العبادات والمعاملات، فيقول صلى الله عليه وسلم: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ" (المؤمنون:٥١) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، ويمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّيَ بالحرام، فأنى يُسْتَجَابُ لذلك" (رواه مسلم).

أثر المال الحرام في محق الأرزاق:

لو تدبرنا الآيات القرآنية السابقة، والأحاديث النبوية الشريفة التي وردت بشأن المال الحرام، نخلص منها إلى مجموعة من الحقائق من أهمها ما يلي:

• التنديد باللعن والعذاب الشديد لمن يكتسب مالاً من حرام.

• محق البركة من المال الحرام.

• عدم قبول الصدقات وأعمال الخير من المال الحرام.

• عدم قبول الدعاء.

• إذا لم يُرد المال الحرام إلى أصحابه فسوف يُؤخذ منه في الآخرة من حسناته، وإن لم تكن الحسنات يؤخذ من سيئات صاحب المال وتُحَمَّل على آخذ المال الحرام.

ومن المنظور الاقتصادي فإن السرقة والاختلاس والرِشوة والغصب والتكسب من الوظيفة، كل هذا يؤدي إلى الاعتداء على مال الغير أو على المال العام، وهذا بدوره يؤدي إلى عدم استقرار المعاملات في المجتمع، والإسلام عندما وضع الحدود لم يضعها لحماية الفرد فقط، بل لحماية الفرد والمجتمع والعالم بأسره.

نماذج من صور المال الحرام المعاصرة يجب الحذر منها:

يصعب حصر كل صور المال الحرام المعاصرة، لكن نذكر منها بعض الأمثلة الأكثر شيوعاً

- السرقة بكافة صورها وحيلها.
- الاختلاس من مال صاحب العمل بسبب الوظيفة بدون وجه حق.
- الرِشوة.
- أكل مال اليتيم.
- الكسب من الخبائث.
- الكسب من عمل محرم.
- الاعتداء على المال العام.
- الكسب من الاحتكار والاستغلال.
- الكسب من استغلال ذي الحاجة والمضطر.
- المال المغتصب.
- الكسب والتربح من البيوع غير المشروعة.
- الغلول: استئثار ولي الأمر أو الرئيس أو المسئول بالحظ الأكبر من الغنيمة أو المكافآت ظلماً.
- المكوس: الإتاوات والرسوم والضرائب الظالمة.

أثر كبيرة منع الزكاة في محق الأرزاق :

- الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وركنه الثالث، وهي من شروط البيعة للدخول في دين الله عز وجل، والزكاة حق الله عز وجل في المال، لا يجوز إنكاره أو منعه أو التحايل على إنقاصه، والزكاة تطهر النفس والمال والمجتمع، وهي أساس التضامن والتكافل الاجتماعي، ومصدر من مصادر تمويل الجهاد في سبيل الله عز وجل وتحقيق العزة للمسلمين، وحماية أرضهم وأموالهم.

- ومنع الزكاة من الكبائر التي تمحق البركة في الرزق، وتقوض الروابط بين أفراد المجتمع، وتسبب الشقاء والحياة الضنك للفقراء والمساكين، ولقد ندد الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بمانعي الزكاة كما ورد بالكتاب والسنة.

يتوعد الله تبارك وتعالى الذين لا يؤتون الزكاة بالعذاب الأليم، فيقول عز وجل: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ " التوبة:٣٥،٣٤)، ويقول سبحانه وتعالى: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (آل عمران:١٨٠). ويقول تبارك وتعالى: " هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ" (محمد:٣٨) ويعتبر جاحد الزكاة من الكافرين المشركين، مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى: "وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ" (فصلت٦،٧).

والآيات المباركات السابقة ترهيب لمانعي الزكاة، بالعذاب الأليم الشديد يوم القيامة، وتحذيراً لهم من الله عز وجل من البخل بالمال، لأن ذلك يسبب مرض عبادة المال من دون الله عز وجل، ويغرس في النفس الشح والبخل، ويضعف روابط التكافل الاجتماعي، ويجلب الحقد والبغضاء.

ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث الشريفة التي فيها التهديد والوعيد لمانع الزكاة، نذكر منها ما يلي:

• يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقرائهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً، ويعذبهم عذاباً أليماً" (رواه البيهقي) ففي هذا الحديث تهديد لمانع الزكاة بالحساب الشديد والعذاب الأليم.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فاما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده، وعفيف ومتعفف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلون النار، فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله في ماله، وفقير فخور" (رواه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي) ففي هذا وعيد شديد لمن لا يؤدي زكاة ماله، ومآله النار.

• ولقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مانع الزكاة في النار، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مانع الزكاة يوم القيامة في النار" (رواه الطبراني).

• والويل الشديد لمانع الزكاة يوم القيامة، فسوف يعذب بنفس ماله كما ورد في قول الله عز وجل: "يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ" (التوبة: ١٣٥) وورد نفس المعنى في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيُكوى بها جنبه وجبينه وظهره، وكلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار" (رواه البخاري ومسلم).

• ويمثل المال يوم القيامة بثعبان يطوق به مانع الزكاة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فيفر منه، فيتبعه فيقول: انا كنزك، ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله عز وجل: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه: حديث صحيح) وهذه الأحاديث وغيرها فيها من التهديد والوعيد لمانع الزكاة ما يعظم جرم هذا الفعل.

أثر منع الزكاة في محق البركة وفساد المجتمع:

يقول العلماء والفقهاء إن الزكاة هي البركة والطهارة، والنماء والصلاح للنفس وللمال وللناس جميعا، وعلى النقيض، يكون في منع الزكاة المحق والخبائث والنقصان والفساد في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، ومصداقية ذلك ما ورد بالقرآن والسنة على النحو السابق بيانه.

فمع الزكاة يمحق بركة الإيمان والتقوى في قلوب أصحاب المال الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، فقد حرموا رزق تزيين الإيمان في قلوبهم، وحل محل ذلك المال وعبادته، وبذلك أصبحت قلوبهم قاسية مادية متعلقة بالمال.

ومنع الزكاة يغرس في قلوب أصحاب المال الشح والبخل، ويظنون أن الزكاة تنقص المال، بل يقول بعضهم كما في القرآن: "أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ" (يس: ٤٧) ، ويقول البعض الآخر كما قال قارون: "قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي" (القصص:٧٨).

ومنع الزكاة يجلب في المجتمع الشقاء لفئة الفقراء والمساكين ومن في حكمهم كما أنه يوقع الأغنياء في ابتلاء الترف والسرف والبذخ والبغي والبطر الذي يؤدي إلى المحق والهلاك، مصداقاً لقول الله عز وجل: " وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ" (القصص:٥٨)، "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا"

(الإسراء:١٦) ، وما أصدق قصة سبأ في تصوير أثر البطر وكفر النعمة، وقصة أهل ضروان في تصوير محق البركة وهلاك المال بسبب منع حق الفقراء والمساكين كما سبق بيانه.

ومنع الزكاة يقوض الجهاد في سبيل الله عز وجل، ويعطي الفرصة لأعداء الإسلام ليعتدوا على أموال المسلمين، وكيف لا (وسهم في سبيل الله عز وجل) أحد مصارف الزكاة الثمانية التي وردت في قول لله عز وجل: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ" (التوبة: ٦٠). وقد هدد الله عز وجل من يقبض يده عن الإنفاق في سبيل الله عز وجل فقال: " وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" (البقرة:١٩٥) .

ومنع الزكاة يمنع الخير من السماء، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطَرُوا" (ابن ماجه والبزار).

نماذج من صور منع الزكاة المعاصرة يجب الحذر منها:

تُعتبر فريضة الزكاة من فرائض الإسلام الغائبة، حيث تقاعس الحكام عن جمعها وصرفها في مصارفها الشرعية، واهتموا بالضرائب والمكوس، واعتقد بعض المسلمين جهلاً أو تجاهلاً أن الزكاة مسألة خاصة واختيارية، وظهرت صور شتى لمنع الزكاة، وحيل خبيثة للتهرب منها، يجب الحذر منها، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- الاعتقاد الخاطىء بأن الزكاة كانت تؤدى وتُعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفسرون آية الزكاة تفسيراً خاطئاً، وهي: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" (التوبة:١٠٣) يؤول البعض أن هذا الأمر للرسول، وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات، فليس علينا زكاة.

- يرى البعض أن الزكاة من مسئولية ولي الأمر، وما دام لم يطلبها، فالإثم عليه ولسن مطالبين بأدائها.

- يرى البعض أن الزكاة تعطى للفقراء والمساكين، ويُنفق منها في تمويل الجيوش والجهاد، وما دامت الدولة تمول ذلك من الضريبة، فليس هناك جدوى من الازدواج بين الضريبة والزكاة.

- يفتري البعض بأن الزكاة نظام كان يصلح في القديم، أما وأن العالم قد تحضر وتمدن، فإن المطالبة بها من دعاوي الرجعية والتخلف على حد قولهم.

• الفهم الخاطىء بأن الزكاة محصورة فقط في أنواع الأموال التي كانت في صدر الإسلام، أي هي: النقدين والزروع والثمار والأنعام وعروض التجارة والركاز، وما عدا ذلك من الأموال المعاصرة فليس عليه زكاة.

• التذرع الخبيث بأن هناك اختلافات بين الفقهاء في أحكام الزكاة !! وهذا يعوق من تطبيقها.

• يقولون إنه في ظل العولمة واختلاف المذاهب والعقائد والملل يصعب تطبيق الزكاة.

وهذه المعتقدات والمفاهيم الخاطئة والافتراءات – المردود عليها – من مداخل الشياطين عن بعض الحكام والأفراد لمنع تطبيق الزكاة، من يؤمن بها وينفذها فعقابه المحق في الدنيا والحساب الشديد، والعذاب الأليم في الآخرة؟

أثر كبيرة الإسراف والتبذير في محق الأرزاق:

الإسراف والتبذير من وحي الشيطان، وهم من أكبر الكبائر التي تهلك المال، وتبدد العمر، وتسبب الفساد في الأرض، ولقد نهى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عن كل صورها حسب ما ورد بالكتاب والسنة.

فقد نهى الله عز وجل عن الإسراف بكافة صوره وأشكاله، فقال تبارك وتعالى: " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (الأعراف:٣١)، كما حذر الله عز وجل من طاعة المسرفين والسير في طريقهم فقال عز وجل: "وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ" (الشعراء:١٥٢،١٥١) .

وندد الله عز وجل بالمسرفين ووصفهم بأنهم كذابون مرتابون مضللون، فقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (غافر:٢٨) ، وقال: "كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ" (غافر:٣٤).

ويقصد بالإسراف في هذا المقام اتباع الهوى وإطاعة الشهوات إلى الحد الذي حرمه الله عز وجل ، أو هو تجاوز حد الحلال إلى حد الوقوع في الحرام، وفي هذا ممحقة للرزق، لأنه إنفاق بدون منفعة معتبرة شرعاً، وقال بذلك مجاهد وقتادة.

ويقول الله تبارك وتعالى بخصوص النهي عن التبذير: "وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا" (الإسراء ٢٦،٢٧) والتبذير معناه إنفاق المال في غير منفعة معتبرة شرعاً، أو إنفاق المال في الباطل، ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى المبذرين بأنهم رفقاء الشياطين وأصحابهم، وما دام التبذير ليس له منفعة، فهو خسارة ومحق للرزق، فالذي ينفق ماله في الحق والصلاح ليس مبذر، والذي ينفق ماله في الباطل والفساد يعتبر مبذراً متشبهاً بالكفار، ويؤيد هذا المعنى قول الله تبارك وتعالى: لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ" (الأنفال:٣٦).

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسراف والتبذير، وأمر بالإنفاق في المنفعة وعدم تجاوز حد الحلال، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده" (رواه أحمد والنسائي وابن ماجة).

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الاقتصاد في الإنفاق دون تقتير أو إسراف، فقال: "ما عال من اقتصد" (رواه الإمام أحمد)

ولقد ورد في الأثر: "آفة الجود السرف"، و "ومن بَذَّرَ حرمه الله" (الشهاب) .

ولا يقتصر التبذير والإسراف على المال، بل يمتد إلى كافة الأرزاق، ومنها الوقت والعلم والجهد والموارد البشرية والطبيعية.

أثر الإسراف والتبذير في محق الأرزاق ونشر الفساد:

يعتبر الإسراف والتبذير من الأمور المنهي عنها شرعاً، لأنهما يمثلان إهداراً وضياعاً للأرزاق بدون منفعة معتبرة شرعاً، ولا يقتصر ضررهما على المسرف والمبذر ذاته، بل يمتد ذلك إلى المجتمع بأسره، فالإسراف، والتبذير في الأموال، وفي الوقت، وفي الجهد، وفي الموارد الطبيعية، وفي نعم الله عز وجل، جميعها يعتبر هذا وما في حكمه محقاً للبركة.

نماذج معاصرة من الإسراف والتبذير يجب الحذر منها:

من أبرز نماذج الإسراف والتبذير المعاصرة ما يلي:

- إنفاق المال في الحرمات.
- إنفاق المال في الترفيات.
- تضييع الوقت بدون منفعة شرعاً.
- عدم استغلال الطاقات المتاحة وتركها معطلة .
- حبس الأموال عن التبادل والتعامل.
- عدم إتقان تقديم الخدمات وتحسينها.
- استخدام الموارد المتاحة استخداماً غير رشيد.

أثر كبيرة الترف في محق الأرزاق:

الترف من بطر النعمة، وهو التنعم والإسراف في ملذات الدنيا وشهواتها المباحة بدون منفعة معتبرة شرعاً، ومن آثاره البغي والفساد والفتنة في الأرض، ولقد نهى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك في الكتاب والسنة على النحو التالي:

يقول الله تبارك وتعالى في وصف حال المترفين: "وقال الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ" (المؤمنون:٣٣) وهذا هو حال الكافرين المكذبين المترفين في ملذات الحياة الدنيا، والذين لا يؤمنون بالمحاسبة عليها في الآخرة،

ومن صفات المترفين كذلك التكذيب بدعوات الرسل، ومصداق ذلك قول الله عز وحل: "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ" (سبأ:٣٤) ، ويقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، كما يصدون ويمنعون الدعاة إلى الله عز وجل، ومصيرهم الهلاك، مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا" (الإسراء:١٦).

يقول صاحب الظلال: (المترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال، ويجدون الخدم، ويجدون الراحة فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها، ومن ثم تتخلى الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها).

ولقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من الاستغراق في نعيم الدنيا وملذاتها، فيقول: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم" (البخاري) كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تجاوز الحدود المشروعة في ملاذ الطيبات والترفه في النعيم، فقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين" وقال صلى الله عليه وسلم: "اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم".

ومن سير الأنبياء والرسل والصالحين نماذج عملية عن تجنب الترف والبذخ، فقد رُوي أن يوسف عليه السلام كان لا يشبع وهو على خزائن الأرض، فقيل له في ذلك، فقال: (أخاف أن أشبع فأنسى الجياع) .

وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم التقشف، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها: "ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز أو شعير يومين متتابعين حتى قُبِضَ"، وعنها أنها قالت لعروة بن الزبير ابن أختها: "والله يا ابن أختي إنَّا كُنَّا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات الرسول صلى الله عليه وسلم نار، قلت: يا خالة، فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء".

ولقد حذر الإمام حسن البنا من الترفه في النعيم لأنه من معوقات الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله، فقال يرحمه الله عز وجل: (إن الأمة إذا ارتقت في النعيم، وأنست بالترف، وغرقت في أعراض المادة، وافتتنت بزهرة الحياة الدنيا، ونسيت احتمال الشدائد، ومقارعة الخطوب، والمجاهدة في سبيل الحق، فقل على عزتها وآمالها العفاء) .

والواقع الذي نعيش فيه دليل صادق على ما ورد بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء والدعاة، فإن الترف فتنة وفساد، ومن أسباب الانحلال والميوعة وترك الجهاد.

أثر الترف في محق الأرزاق:

ومن آثار الترف أو التلذذ في النعيم، حدوث الأمراض الاجتماعية والعضلية والنفسية، والانزلاق في طرق الانحلال، وانتشار الفسوق والعصيان، وهذا كله من مظاهر الفساد الاجتماعي والاقتصادي.

نماذج من صور الترف المعاصرة يجب الحذر منها:

يصعب حصر كل صور الترف المعاصرة، لأنها انتشرت في البر والبحر انتشار أمراض السرطان في الدم والجوارح، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

- إنفاق المال في غير الضروريات والحاجيات والكماليات.
- تحلي الرجال بالذهب.
- لبس الرجال الحرير.
- الترف في حفلات أعياد الميلاد وغيرها من البدع المحرمة شرعاً.
- طلاء الأواني وغيرها بالذهب والفضة.
- الترف في استخدام الوقت في الملذات والشهوات تجاوزاً لحدود شرع الله عز وجل.
- التنافس في الملذات والشهوات للتباهي والتفاخر.

أثر كبيرة الكبر في محق الأرزاق:

الكبر والفخر والخيلاء من التعاظم، وهذه الخصال مذمومة في الإسلام لأنها تقود إلى الشرك والكفر وبطر النعمة ومحق الأرزاق، وفي الكتاب والسنة النبوية الشريفة المصداقية لذلك.

يقول الله تبارك وتعالى "إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ" (النحل:٢٢،٢٣) فهؤلاء المتكبرون على الله عز وجل وعلى العباد ولا يؤمنون بالآخرة ملعونون من الله عز وجل، وسيدخلون جهنم داخرين ويقول الله عز وجل في سورة لقمان: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (لقمان:١٨)، ويقول في سورة النساء: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا" (النساء:٣٦) ولقد خسف الله العزيز الحكيم بقارون وبداره الأرض بسبب تكبره وتعاظمه على العباد وإنكاره لنعمة الله، كما نهى الله عز وجل عن الخيلاء فقال: " وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا" (الإسراء:٣٧).

ولقد ورد بالسنة النبوية الشريفة العديد من الأحاديث عن حال ومصير المتكبرين. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، يطأهم الناس، يغشاهم الذل من كل مكان" (رواه النسائي والترمذي)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم مبيناً مصير المتكبر: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" (رواه مسلم).

والمتكبر محروم من رحمة الله عز وجل ، ويلقى الله عز وجل وهو عليه غضبان، ومصداق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ما من رجل يختال في مشيته، ويتعاظم في نفسه، إلا لقي الله وهو عليه غضبان" (رواه الطبراني والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما).

ولقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من المخيلة فقال: "إياك والمخيلة ولا تلام على كفاف" (ابن ماجه)، وقال:" كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة .." (البخاري).

ويقول الإمام الحافظ صاحب كتاب الكبائر:(وأشر الكبرالذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه، فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه، وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت، ويتفقدها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة، وبطر على المسلمين، وتحامل عليهم وازدراهم فهذا من أكبر الكبائر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) .

والواقع المعاصر الذي نعايشه يفسر الحقائق السابقة الواردة في القرآن والسنة، حيث نجد أنه ما من متكبر ظالم طاغية إلا وقد قصم الله عز وجل ظهره، وأهلك بدنه، وخسف به وبماله الأرض، كما فعل بقارون وفرعون والطغاة الظالمين من بعدهم.

دور الكبروالمخيلة في محق الأرزاق وهلاك الأمم والشعوب:

الكبر والتعاظم من مداخل الشيطان، ويقود إلى الفساد والطغيان، وهذا كفيل بمحق الأرزاق، وهلاك الأمم، وتدميرالشعوب، والحرمان من رحمة الله عز وجل.

نماذج معاصرة من الكبر يجب الحذر منها:

من أهم صور الكبر المعاصرة ما يلي:

- احتقار الناس والتعالي عليهم.
- الإسبال في الثياب تكبراً وخيلاء.
- عدم رد السلام تكبراً.
- الكلام بغير لغة القرآن تكبراً من باب التفرنج والتكبر، وادعاء التمدن.
- حب هرولة الناس ليحملوا الثياب والحقائب تكبراً منه وتعالياً عليهم.
- الإثراء والإطراء على النفس (تزكية النفس) .
- المن والأذى عند العطاء.
- التفاخر بالمال والبنين والجاه والسلطان والمقدرة والعلم.

الخاتمة:

الذنوب كبائرها وصغائرها، ما بطن منها وما ظهر، تمرض القلوب ثم تميتها، وهذا يضعف قوى الخير، ويدعم قوى الشر، فتندفع الجوارح نحو فعل الفحشاء والمنكر، فيعتدي على النفس والدين والعقل والعرض والمال، فتمحق البركة من الرزق والعمر والعلم والعمل، فيكون الدمار والهلاك.

وهناك من كبائر الذنوب من له علاقة مباشرة بمحق الأرزاق، وهدم الأمم، وضياع الخيرات، وهلاك الشعوب، ويجب الحذر منها كما أمرنا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الكبائر: الربا، والزنا، والخمور، والمسكرات والمدمنات والمفترات، والميسر والتدليس والنصب والجهالة، والتطفيف في الكيل والميزان وبخس الناس أشياءهم، والكذب والتزوير وخيانة الأمانة، والغدر ونقض العهود والعقود، وكسب المال من الحرام مثل السرقة والاختلاس والغصب والرشوة والتكسب من الوظيفة والغلول والمكوس، ومنع الزكاة وفرض المكوس الظالمة،

والإسراف والتبذير في نعم الله عز وجل الظاهرة والباطنة، والترف والتنعم الزائد عن الحدود المشروعة في ملذات وشهوات الحياة..

ونحو ذلك مما ورد تفصيلاً في المؤلفات المتخصصة في الكبائر والصغائر من الذنوب.

ولقد تبين بالدليل من الكتاب، والسنة النبوية الشريفة، ومن أقوال العلماء والفقهاء أن من آثار هذه الكبائر ما يلي:

• الاعتداء على النفس البشرية التي كرمها الله عز وجل على سائر المخلوقات من خلال بعض الكبائر مثل الزنا واللواط والخمور وهذا يسبب هلا ك كل شيء.

• الاعتداء على العقائد الدينية (الدين) حيث أن بعض الكبائر تقود إلى الكفر والشرك بالله عز وجل، وعدم الإيمان بالمحاسبة الأخوية، وهذا يقود إلى الطغيان والبغي والظلم ومحق البركة من الأرزاق الظاهرة والباطنة.

• الاعتداء على العقل، أسمى وأعلى رزق منحه الله عز وجل للإنسان، فإذا اختل العقل أو غاب كان الهلاك والدمار والضياع لكل الأرزاق، ومن الكبائر التي تسبب ذلك الخمور والمسكرات والمدمنات والمفترات.

• الاعتداء على العرض، حيث أن بعض الكبائر مثل: الزنا واللواط تقود إلى اختلاط الأنساب، وانتشار الأمراض التي لم تكن في أسلافنا مثل مرض الإيدز والسرطان.

• الاعتداء على المال الذي هو قوام الحياة، بكسبه من الحرام والخبائث، وإنفاقه في الحرام والخبائث، وكذلك الاعتداء على مال الغير من خلال الميسر والتطفيف والغش والتزوير والكذب، فهذا يقود إلى فقد الثقة في نظم المعاملات ومحق البركة من الأرزاق.

• الاعتداء على المجتمع، وتقويض روابط التكافل والتضامن الاجتماعي، وكم من أقوام هلكت بسبب ارتكابها للكبائر، ومن الكبائر التي تسبب ذلك: الزنا، والربا، ومنع الزكاة، وفرض المكوس والضرائب الظالمة.

• الاعتداء على الأمم والناس جميعاً، لأن الفساد والفاحشة تنتشر مثل السرطان، والواقع الذي نعايشه في ظل العولمة أصدق دليل على ذلك.

• هناك محرمات يستهين بها كثير من الناس، يعتقدها بعض المذنبين من الصغائر، أو من البدع المعفي عنها، وهي لا تقل خطورة عن الكبائر، فالمداومة والإصرار على الصغائر يجعلها كبائر، وكان السلف الصالح لا يفرقون بين صغيرة ولا كبيرة، فإنها جميعاً معصية لله عز وجل.

• ارتكاب الذنوب أمر جد خطير على النفوس والأمم والشعوب، ويحتاج إلى سرعة الإنقاذ قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، والطريق إلى ذلك معروف، وهو التوبة والإنابة والاستغفار والعمل الصالح وتطهير الأرزاق

خواتم الكتاب

- ضوابط الأرزاق في ضوء الشريعة الإسلامية
- قائمة المراجع .
- كتب للمولف .
- فهرست المحتويات .
- التعريف بلمؤلف .

ضوابط الأرزاق في ضوء الشريعة الإسلامية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، لقد أنعم الله علينا بفضلة وكرمه بإتمام كتاب "الأرزاق :بين بركة الطاعات ومحق السيئات "

لقد استشعرت وأنا أدرس المسائل التى تتعلق بالأرزاق بعجز المخلوقات عن تدبير رزقها وأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل وضمن لهم ذلك ، فهو القائل فى كتابه الكريم :(وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود :٦)، فالله وحده بيده الأجال والأرزاق ، ولا يجب أن يشغل العبد نفسه بهاتين المسألتين ، بل يشغل نفسه بعبادة الله عز وجل القائل:) وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات :٦٥) .

ولقد استنبطت من مصادر الشريعة الإسلامية الغراء مجموعة من الأصول والضوابط التى تتعلق بالأرزاق ، رأيت أن ألخصها في خاتمة هذا الكتاب فى صورة دستور إسلامى ليلتزم به المسلم وهو يتعامل مع قضية الرزق ،وهذه الأصول هى :

أولاً : الإيمان بأن الله عز وجل خلق الخلق وقدر له الرزق ، فهو القائل : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (الروم :٤٠) .

ثانياً : الرزق وسيلة من الوسائل التى تعين العبد على عبادة الله ،هكذ ينظر المسلم إليه ،عليه الموازنة بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة من الأرزاق فلا إفراط ولا تفريط مصداقا لقوله تبارك وتعالى :(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (القصص :٧٧).

ثالثاً : كل ما تنتفع به المخلوقات فهو رزق ، وكل ما يدخل فى نطاق نعم الله فهو رزق ، ويجب شكر الله سبحانه وتعالى على رزقه ونعمه كما أمرنا ، مصداقا لقوله

عز وجل : (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم :٧) ، وقوله سبحانه وتعالى : (وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ) (البقرة :١٥٢) .

رابعاً :الرزق نوعان :الرزق الظاهري المادي لبناء وتغذية الجسد للتقوية على طاعة الله عز وجل ، والرزق الباطنى المعنوى لغذاء الروح وتركية القلوب وإصلاح النفوس ، وكل من نعم الله عز وجل ، فهو سبحانه وتعالى القائل : (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لقمان : ٢٠) ، ويجب شكر هذه النعم وتلك الأرزاق بتوظيفها كما أمر الله تعالى .

خامساً : حدد الله عز وجل موجبات جلب الأرزاق في أمرين رئيسيين هما:

١- العمل والضرب فى أى مكان فى الآرض سعياً وراء الرزق الحلال الطيب بالزراعة أو بالصناعة أو بالتجارة أو بتقديم الخدمات للناس .وفق نواميس الكون ،وما تفتقت عنه عقول البشر من وسائل وأساليب وتقنية ،ويعتبر ذلك عبادة إذا كانت النية التقوية على عبادة الله عز وجل ،مصداقا لقوله تبارك وتعالى : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥)

٢- التوكل على الله سبحانه وتعالى ، والإيمان العميق الراسخ بأن عزوجل الرزاق ذو القوة المتين ،مصداقا لقوله تبارك وتعالى : (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) (الطلاق :٢-٣) ،ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً)(رواه أحمد والترمذى) .

وفى ضوء ذلك يجب على المسلم أن يجمع بين موجبات الأرزاق ، فلا يغني التوكل عن الأخذ بالأسباب ، تغنى الأسباب عن التوكل .

سادساً : لجب الطيبات من الأرزاق ضوابط شرعية يجب الالتزام بها ،

منها ما يلى :

- ان يكون مجال العمل حلالاً حتى يبارك الله فى الرزق .
- أن تكون وسائل العمل لجلب الرزق مشروعة .
- الالتزام بفقة الأولويات الإسلامية (الضروريات فالحاجات فالتحسينات)عند جلب الأرزاق .
- تجنب أهدار الوقت والموارد الطبيعية عند جلب الرزق .
- الجمع بين الأصالة والمعاصرة في أساليب جلب الأرزاق .

سابعا : يجب تجنب المعاصى والذنوب كبيرها وصغيرها ،لأنها تزيل النعم الحاضرة ، وتقطع النعم الواصلة ، وتمحق الأرزاق ، وتهلك الأمم والشعوب ،يقول الله تبارك وتعالى (فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ)(الأنعام :٦) ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :"إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه " (النسائى وابن ماجه) .

ثامناً : لقد أهلك الله عز وجل الأقوام بسبب معاصيهم وذوبهم وكفرهم وتعنيهم وتكبرهم وتألههم ،عبرة وتذكرة ،فهو جل شأنه القائل: (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ) (غافر :٢١).

تاسعاً : يجب أن نأخذ من قصص الرسل والأنبياء مع أقوامهم الدروس والعبر مصداقا لقول الله عز وجل :(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ)(يوسف :١١١)

وكيف أن الله قد أهلكهم بمعاصيهم وذنوبهم :فقد عاقبهم كما يلى :

- عاقب قوم نوح بالغرق بسبب كفرهم واستكبارهم واستهزائهم بنبيهم.
- عاقب قوم هود بالريح العاتية بسبب كفرهم وعصيائهم وظلمهم .
- وعاقب قوم صالح بالصاعقة بسبب كفرهم واستكبارهم ونقضهم العهود.
- وعاقب قوم لوط بالزلزال والمطر بحجارة من سجيل بسبب ارتكاربهم الفاحشة .
- وعاقب قوم شعيب بالحر الشديد والزلزال العنيف بسبب كفرهم والتطفيف فى الكيل والميزان .
- وعاقب فوعون وقومه بالغرق بسبب كفرهم وعناهم وطغيانهم وتألههم .

عاشراً :على الطغاة والظالمين والبغاء ومن على شاكلتهم ممن تجبروا بما أتاهم الله من النعم ، أن يأخذوا العبرة والدروس بما حدث لقوم سبا ، وأصحاب الجنة ، وصاحب الجنتين ، وقارون من العقاب بسبب عصيانهم وذنوبهم ، ولقد صدق عليهم قول الله عز وجل (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ) (القصص:٥٨).

إحدى عشر :يجب تجنب فتنة العصاة المذنبين الذين ابتلاءهم الله بالسعة بالمال والجاه من قبيل الاستدراج ،فهذا متاع قليل فى الدنيا ،يقول الحق تبارك وتعالى :(لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ) (آل عمران ١٩٦-١٩٨) .

ثاني عشر :يجب التفقه فى الدين ، لمعرفة الحلال الطيب من الرزق لجلبة ،ومعرفة الحرام والمنكر لإجتنابه ،مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :"من يرد الله به خيراً، يفقهه فى الدين " (البخاري) الإيمان بأن عز وجل عندما يحرم أمرا أو شيئاً يأتي بالبديل الذي فيه الخير والمنفعه لعباده ، ومن المحرمات التى تمحق الأرزاق :الشرك بالله وقتل النفس ،وعقوق الوالدين ، والربا ، والزنا واللواط ، والكذب ،وشهادة الزور ،والنفاق ،والغش ، والتدليس ، والغرر ،والجهالة وشرب الخمر، والمسكرات ، والميسر ، والتذير ،والظلم ، والبغى ... وكل هذا وما فى حكمه من ممحقات الأرزاق وهلاك الأمم والشعوب .

ثالث عشر : إن التعجيل بطهير القلوب والنفوس الجوارح والأموال والأعمال مما ران عليها من أثار المعاصى والذنوب ،ضرورة شرعية وحاجة إنسانية ، مصداقا لقوله الله تبارك وتعالى :(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور :٣١) .

رابع عشر :يجب تطهير الأرزاق الظاهرة والباطنة :بالتوبة والاستغفار ورد الحقوق إلى اصحابها أو الإبراء منها ،ومضاعفة الأعمال الصالحات ،وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى : (إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً) (الفرقان :٧٠)

خامس عشر: يجب أن تكون التوبة خالصة ، مصداقا لقوله الله تبارك وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً) (التحريم) ومن شروطها :

- الإقلاع عن المعاصى والذنوب فى الحال بدون تسويف أو مماطلة .
- الندم الشديد على ما سلف من المعاصى والذنوب بالإستغفار الصادق.
- العزم الأكيد على عدم العود إلى المعاصى والذنوب أبداً .
- رد الحقوق إلى أصحابها ، أو الإبراء منها .

سادس عشر : يجب المداومة على الطاعات والأعمال الصالحات ، للوقاية من السيئات ،ولتحقيق البركات مصداقا لقوله الله تبارك وتعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ....) (النحل :٩٧) ، ومن الأعمال الصالحات التى يجب المداومة عليها ما يلى :

- استشعار عظمة الله وقدرته وأنه الرزاق ذو القوة المتين .
- الإكثار من الصلاة فى جوف الليل والاستغفار بالأسعار .
- المواظبة على تلاوة القرآن الكريم وتدبر معانيه بالأسحار .
- التفقه في الدين ومعرفة الحلال والحرام .
- الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه .
- الإكثار من الدعاء والتضرع والتبتل إلى الله .
- أداء الزكاة والإكثار من الصدقات .
- ملازمة عباد الله الصالحين فهم عون على عمل الطاعات .
- تجنب الوقوع فى الصائر فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يلهلكنه .
- تعظيم حرمات الله عز وجل .
- الأخذ بالعزائم سد الباب الذرائع .

سابع عشر : يجب سرعة التخلص من المال الحرام بعد التوبة والاستغفار برده إلى أصحابه ، وإن تعذر ذلك فينفق فى وجوه الخير بما يعود على المسلمين بالمنافع العامة ، أو رده إلى الخزينة العامة للدولة الإسلامية ، وعدم القنوط من رحمة الله تعالى فهو القائل : (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى) (طه :٨٢)

ثامن عشر : يجب تطهير المال مما اختلط به من الحرام ، امتثالاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم :(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك إلى ما يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة " (رواه الترمذى وقال حديث صحيح).

تاسع عشر :تجنب العمل فى جهات نشاطها حرام أو مختلط بحرام ، لأن في ذلك إعانة لها على الإثم والعدوان ، إلا عند الضرورة والضرورة تقدر بقدرها ، والتى تقاس على ضرورة أكل الميتة ، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى :(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ) (البقرة :١٧٣) .

عشرون :إن الله طيب لايقبل إلاّ طيباً ، ولا تقبل صدقة من غلول ،ولا تقبل زكاة من مال حرام حبيث يقول الله تبارك وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) (البقرة :٢٦٧) ، وقوله سبحانه وتعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً) (البقرة :١٦٨) .

نداء إلى المسلمين

إلى الإسلام :أيها الرغبون في طاعة الله وتحقيق البركات فى الأرزاق.

إلى الإسلام :أيها الحائرون فى معرفة أسباب محق البركات فى الأرزاق .

إلى الإسلام : أيهام التائبون الباحثون عن طريق تطهير الأرزاق .

إلى الإسلام : أيها المؤمنون التائبون المستغفرون بالأسحار

إليكم جميعاً أوجه النداء القرآنى:

" قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (المائدة :١٥-١٦) .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " (الأنفال :٢٤) .

من مؤلفات الدكتور / حسين حسين شحاتة

أولاً : كتب فى الفكر المحاسبى الإسلامى	
• محاسبة الزكاة : مفهوماً ونظاماً وتطبيقاً	• التطبيق المعاصر للزكاة : وكيف تحسب زكاة مالك .
• أصول الفكر المحاسبى الإسلامى	• الطبيعة المميزة لمعايير المراجعة الإسلامية
• أصول محاسبة التكاليف فى الفكر الإسلامى	• أصول المحاسبة المالية مع إطلالة إسلامية
• محاسبة المصارف الإسلامية	• المحاسبة على الضريبة الموحدة مع إطلالة إسلامية .
• أصول محاسبة الشركات فى الفكر الإسلامى	• أصول المراجعة والرقابة فى الفكر الإسلامى
• محاسبة التأمين التعاونى الإسلامى	• المحاسبة الإدارية لرجال الأعمال
• دليل المحاسبين للزكاة	• الميثاق الإسلامى لقيم وأخلاق المحاسب
• الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية للوقف	• أزمة السيولة والعلاج الإسلامى
• فقه وحساب زكاة الفطر	• الميزانيات التقديرية فى المصارف الإسلامية
ثانياً : كتب فى الاقتصاد الإسلامى	**ثالثاً : كتب فى الفكر الإسلامى**
• المصارف الإسلامية بين الفكر والتطبيق .	• المأثور من الذكر والدعاء
• مشكلتا الجوع والخوف وكيف عالجهما الإسلام	• محاسبة النفس
• حرمة المال العام فى ضوء الشريعة الإسلامية	• إبتلاءات ومسئوليات زوجة معتقل
• اقتصاد البيت المسلم فى ضوء الشريعة الإسلامية	• مسؤولياتنا نحو أبناء المعتقلين
• المنهج الإسلامى للإصلاح الاقتصادى	• القلوب بين قسوة الذنوب ورحمة الاستغفار
• الالتزام بالضوابط الشرعية فى المعاملات المالية	• خواطر إيمانية حول العقيقة
• الميثاق الإسلامى لقيم رجال الأعمال	• الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات
• تأمين مخاطر رجال الأعمال : رؤية إسلامية	• تطهير الأرزاق فى ضوء الشريعة الإسلامية
• النظام الاقتصادى العالمى واتفاقية الجات	• *الرجل والبيت بين الواجب والواقع*
• السوق الشرق أوسطية : رؤية إسلامية	• طريق التفوق العلمى من منظور إسلامى
• الخصخصة فى ميزان الشريعة الإسلامية	• *وصايا إلى طلاب العلم*
• الضوابط الشرعية للتعامل فى سوق الأوراق المالية	• وصايا إلى البيت المسلم
• البعد الاقتصادى فى حياة الرسول (صلى)	• الرشوة فى ميزان الشريعة الإسلامية

التعريف بالمؤلف

دكتور حسين حسين شحاتة

*دكتوراه الفلسفة فى المحاسبة الإدارية من جامعة براد فورد . إنجلترا ١٩٧٦م.

* أستاذ المحاسبة والمراجعة بكلية التجارة جامعة الأزهر، ورئيس قسم المحاسبة الأسبق.

* يُدَرِّسْ علوم الفكر المحاسبى الإسلامى، ومحاسبة الزكاة بالجامعات العربية والإسلامية.

* محاسب قانوني، وخبير فى المحاسبة والمراجعة والضرائب .

* مستشار مالى وشرعى للمؤسسات المالية والإسلامية .

* مستشار لمؤسسات وصناديق الزكاة في العالم الإسلامي.

* مستشار لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية .

* عضو الهيئة الشرعية العالمية للزكاة – الكويت.

* عضو جمعية الاقتصاد الإسلامى – مصر.

* عضو المجلس الأعلى لنقابة التجاريي– مصر .

* الأمين العام لشعبة المحاسبين والمراجعين المزاولين– مصر .

* شارك فى العديد من المؤتمرات والندوات العالمية فى مجال المحاسبة والفكر الاقتصادى الإسلامى، والزكاة، والمصارف الإسلامية ، وشركات الاستثمار الإسلامى ، والوقف والمؤسسات الاجتماعية .

* له العديد من المؤلفات فى مجال الفكر المحاسبى الإسلامى، والفكر الاقتصادى الإسلامى، والفكر الإسلامى ، وموسوعة فقه ومحاسبة الزكاة .

* تُرجمت مجموعة من كتبه إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والإندونيسية والماليزية.

للاتصال بالمؤلف :.

- تليفون ٠١٠٠١٥٠٤٢٥٥
- بريد إلكتروني Darelmashora@gmail.com
- موقع الدكتور حسين شحاتة . WWW.DARELMASHORA.COM

التعريف بموقع دار المشورة
للمعاملات الاقتصادية والمالية الإسلامية))

http://www.darelmashora.com

www.DR–Hussienshehata.com

إشراف : الدكتور حسين حسين شحاتة – الأستاذ بجامعة الأزهر

هذا الموقع متخصص بصفة أساسية في الاقتصاد الإسلامي بين الفكر والتطبيق المعاصر، وكذلك بيان الأحكام والضوابط الشرعية للمعاملات الاقتصادية والمالية المعاصرة ، ويحتوي على عدة أقسام من بينها ما يلي.

• قسم الاقتصاد الإسلامي : مفاهيمه وخصائصه وأسسه وتطبيقاته المعاصرة، والفرق بينه وبين نظم الاقتصاد الوضعي .

• قسم اقتصاد البيت المسلم : يدور حول: كيف يُدار اقتصاد البيت وفقاً لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية؟

• قسم زكاة المال والصدقات : يتعلق بكيف يحسب المسلم زكاة ماله وكذلك الصدقات وكيف ينفقها وفقا لمصارفها الشرعية.

• قسم الربا والفوائد البنكية : مفهومه وأنواعه وأشكاله المعاصرة وبديله الإسلامي، والحكم الشرعي في فوائد البنوك.

• قسم المصارف الإسلامية : مفهومها وضوابطها الشرعية والفرق بينها وبين البنوك التقليدية المعاصرة .

• قسم نظم التأمين المعاصرة والتأمين الإسلامي : يتضمن أحكام الشريعة في نظم التأمين المعاصرة (التجاري والتأمين على الحياة) والبديل الإسلامي لها.

• قسم الاستثمار الإسلامي : ويدور حول كيف يستثمر المسلم ماله ، وكيف يمول مشروعاته ؟

• قسم البورصة : بيان الضوابط الشرعية للتعامل في سوق الأوراق المالية : شراءً وبيعاً ومضاربة وسمسرة.

• قسم البيوع: بيان البيوع المشروعة ، والبيوع المنهي عنها شرعاً في ضوء التطبيق المعاصر.

• قسم العمل والعمال في الإسلام : يتضمن نظرة الإسلام إلى العمل والضوابط الشرعية لحقوق وواجبات العمال .

• قسم حكم العمل في مجالات تثار حولها شبهات: مثل العمل في البنوك والبورصة والتأمين والفنادق وما في حكمها.

• قسم فقه رجال الأعمال : يتضمن الضوابط الشرعية لمعاملات رجال الأعمال المعاصرة .

• قسم الطلاب والباحثين : يتضمن وصايا ونصائح للطلاب والباحثين وإرشادات وتوجيهات علمية وبحثية مختلفة.

• قسم فتاوى اقتصادية: ويتضمن أهم التساؤلات الاقتصادية والمالية المعاصرة والإجابة عليها من منظور إسلامي.

• قسم الكتب المنشورة للدكتور حسين شحاتة : في مجال الفكر الاقتصادي الإسلامي .

• قسم البحوث والدراسات المنشورة للدكتور حسين شحاتة : في مجال الفكر الاقتصادي الإسلامي .

• قسم المقالات المنشورة للدكتور حسين شحاتة : في مجال الفكر الاقتصادي الإسلامي .

• قسم خواطر إيمانية للدكتور حسين شحاتة : في التربية الروحية .

• قسم مكتبة الاقتصاد الإسلامي : وتتضمن أهم الإصدارات الحديثة في الاقتصاد الإسلامي .

ويستقبل الموقع تساؤلات اقتصادية ومالية معاصرة ويتم الإجابة عليها من قِبل الفقهاء والعلماء المتخصصين فى فقه المعاملات وفقه الاقتصاد الإسلامي.

كما يقدم الموقع استشارات شرعية في مجال الزكاة والصدقات والميراث والاستثمار والتمويل والتعامل مع المصارف والبورصة ، كما لديه خبراء في التحكيم الودي في المنازعات .

ولمزيد من المعلومات والإيضاحات برجاء الاتصال :

• تليفون : ٢٢٧١٧٨٢١ – ٠١٠٠/١٥٠٤٢٥٥ فاكس : ٢٢٧١٨٤٣٢

بريد إلكتروني: darelmashora@gmail.com

الأرزاق

بين بركة الطاعات ومحق السيئات

فهرست المحتويات